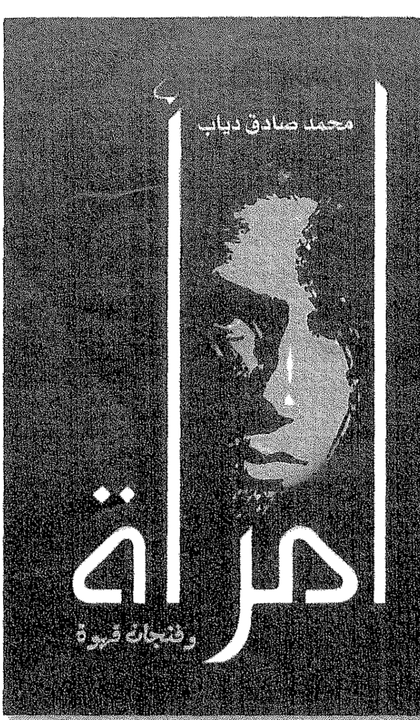
محمد صادق دياب

امرأة

وفنجان قهوة

8


محمد صادق دياب
امرأة
وفنجان قهوة

(ح) محمد صادق دياب ، ١٤٢٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
دياب ، محمد صادق
امرأة وفنجان قهوة / محمد صادق دياب - جدة، ١٤٢٥هـ
١٦٠ ص ؛ ٢١ سم
ردمك: ٧ - ٩٤٦ - ٤٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص القصيرة العربية - السعودية أ - العنوان
ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ١٤٢٥/٢٦٦٩

رقم الإيداع : ١٤٢٥/٢٦٦٩
ردمك: ٧ - ٩٤٦ - ٤٤ - ٩٩٦٠

امرأة وفنجان قهوة

نادلة المقهى القاهري توشك بالكاد أن تجد لك من بين ركام أحزانها ابتسامة مخبوءة تستقبلك بها..

ـ صباح الخير.. كيف تريد قهوتك هذا الصباح؟

تشعر انك لا تزال تمتلك حق اختيار شيء ما حتى ولو كان هذا الشيء فنجانا من القهوة.

ـ حسنا أريدها اليوم أكثر مرارة.

تلعق النادلة شفتها السفلى بطرف لسانها وكأنها تريد أن تتذوق مرارة قهوتك قبل أن تمضي إلى الداخل.

زبون تحتضن كفه أنامل امرأة.. لا شعوريا تتأمل كفك الخالية، تود لو أنك قلبت الطاولة في وجه ذلك الزبون لتشعره بخطورة أن يدمن الرجل امرأة يمكن أن تنسل من بين أصابعه كشعاع ضوء..

كانت القهوة ساخنة والدخان يتصاعد .. ورويدا رويدا تضاءل الدخان وانطفأت حرارة قهوتك..

فجأة تحس أن شيئا ما ربما انطفأ داخل ذاتك كفنجان قهوتك!!

قراءة كف

رسم على كفها بحرا ومجدافا ومركبا.. ثم قال وهو يهمس لعينيها:

- "ترى أين سيكون موقع الملاح" ؟

تأملت كفها المنقوش بالحلم، وقالت:

- "في القلب"

رفع ذراعه يحاول أن يلامس النجوم، وقد حمل المساء صوته يغني:

"وما دام معايا القمر   مالي ومال النجوم"

قالت وهما يتأملان معا طائر نورس داهمه الليل بعيدا عن سربه فامتطى صهوة موجة ذاهبة آيبة:

- "إنها أنثى النورس"

- "وما أدراك"؟

أجابت وعيناها معلقتان بالطائر:

- "إن حالها يشبه حالي في غيابك.. آنذاك أكون أشبه ببوصلة تاهت دروبها عن الفنار.. فأين لي بأمان يخطف نزعة رحيلك من ركاب الغجر؟!.. فليت هذا البحر يجف لتكف المراكب عن الرحيل، فتكون موانئنا للقدوم، أكفنا للتلاقي وقلوبنا للفرح".

أدار وجهه صوب عينيها.. ضبطها متلبسة بإخفاء دمعة متمردة أبعدها الهواء قليلا عن منبعها.. أدخل يده في جيبه.. أخرج دفترا

صغيرا منه.. لوح به أمام عينيها.. قذف به في البحر.

قال الراوي:

"ربما كان هذا الدفتر الصغير جواز سفر"

ربما مر من هنا

حينما انطفأ النهار وتثاءبت النوارس على صواري المراكب الراسية، كانت "ماربيا" هذه المدينة الإسبانية تشعل فتيل قلبها، لتستوي على البحر جنية حسناء تغازل الغرباء وعابري السبيل بأغنية أندلسية عتيقة:

"ربما مر من هنا
بحاري الذي كنت ميناءه
وبحره ومواله
ربما مر من هنا
كغريب
لم أتنبه لعبوره
ولم يستوقفه صوتي الفنار"

فاتنة تغمس فرشاتها في بقايا من حمرة الأفق، ترسم قلبا ووجه رجل بعيد وبحرا ومركبا.. اضع إصبعي بالقرب من وجه ذلك الرجل البعيد.. فتقول في حزن:

ـ لقد مر من هنا !

أحاول أن ألملم نظراتي التي بعثرتها في وجوه العابرين دون جدوى، فأعبر الشارع تاركا بعض نظراتي وبعض ذاتي إلى شارع خلفي ضيق.. كانت تعبره امرأة، وامرأة، وامرأة.. أرمق المرأة الأولى،

ترمقني الثانية، فأتكئ على الجدار لتمر المرأة الثالثة من هنا..
أتوقف عند بائعة الورود، أتأمل ألوان الورود التي تحملها، ولكن حينما نظرت إلى وجهها أحسست أنها أجمل الزهور.. نقدتها ثمن النظر إلى الورود، منحتني نصف ابتسامة هي ثمن جنوني، ومرت من هنا..
وفي المطار أبلغتني موظفة الخطوط بأن ذاكرتي قد تجاوزت الوزن المسموح به لصعود الطائرة، فسكبت على أرض المطار بعض أحزاني العتيقة.. و"ر ح ل ت"!!

المرأة التي مـرَت من هنا

ساعة يدي تشير إلى الثامنة صباحا أو مساء.. فلست على يقين من الوقت إن كان ليلا أو نهارا.. ولعله لا يعنيكم الأمر أيضا..

نادلة المقهى الآسيوية تحرك خطا في وجهها - ربما كان فما - فتصدر أزيزا كأزيز الرسوم المتحركة.. التقط منه عبارة:

"can I help you"

أطلب فنجانا من الشاي، فلقد أقلعت عن القهوة منذ أن اكتشفت أنها شراب المثقفين الذين يحرصون على تناوله وهم ينظرُون في جلسات النميمة على مسامع الصغار.

ارتشف جرعة من الشاي

تمر دقيقة واحدة.. يمر رجل واحد تتبعه امرأة.. تمر نادلة المقهى..

أعود لارتشاف جرعة ثانية

تعود النادلة

يعود الرجل الذي كانت تتبعه امرأة

لكن الدقيقة لم تعد

وكذلك تلك الـ"امرأة" !

انشغل بالتفكير في ملامح المرأة التي مرت من هنا..

اتذكر أن لها وجها كوجه الـ"موناليزا"

أن لها عينين كعيني "قطر الندى"

أن لها شفتين كشفتي "شهرزاد"

فإذا كان التاريخ يعيد نفسه، فلماذا لم تعد تلك الدقيقة، وكذلك المرأة التي مرت من هنا؟!

طوابير العيون الجائعة

كنت أجرُ ظلّي المتعب في درب صادف أن مر من أمامي حينما داهم سمعي رنين أساور معصمها.. كان الطقس ساخنا وشمس الظهيرة توشك أن تلامس الرؤوس فتتفجر في الأجساد أنهار المياه المالحة، وهذا الحضور الأنثوي قد جاء في غير أوانه، فالظهيرة موعد قيلولة القلوب..

لا بأس أن تتباطأ قدماك، فبيننا وبين انطفاء النهار ساعات مزدحمة بطوابير العيون الجائعة، فالموعد لم يحن بعد، والنوارس لم تعد بعد، وجدَة لم تخرج من البحر جنّية ترمي شباكها على العابرين بعد..

عمّال البلدية يمسحون عبارات الحب من جدار عتيق في الزقاق، و"روشن" في آخر الطريق يسـقط ضحكـات أشبه برنين فضة، بينما تلفاز المقهى الخالي من الزبائن يعرض - في الظهيرة - قصة حب مكسيكية ساذجة!

في إحدى البرحات القريبة، تجمهر بعض الناس حول جسد هزيل انهال عليه أحدهم بعصاه، لقد تورط صاحب الجسد الهزيل في علاقة بامرأة، وتلفزيون المقهى - خارج الطقس - لا يزال يعرض قصة الحب الساذجة!

أجر ظلي المتعب بتناقضاته، اختبئ خلف كومة من الظلال تشكلت خلف أحد العمالقة، يرمقني بنظراته.. احتج صارخا في وجهه:

- إن ظلك يحدث ازدحاما في الشارع !

أهرب من أمامه إلى "فاترينات" تعرض ملابس نسائية، أحشو تلك ا لملابس بخيالاتي وأسير مثقلا من سوق الندى إلى "قابل" فـ "العلوي".. وجوه كثيرة قابلت، لم أعرف منها أحدا، لم يعرفني منها أحد، ربما كنت مشغولا في تلك اللحظات باستعادة ما كتبه الإمام الغزالي والعقاد وسيمون دي بيفوار ..احتج على المتنبي وأبي فراس الحمداني وبلزاك الذين يرون أن شهوة المجد تتعارض مع أن يسلم الرجل زمام أمره إلى امرأة.. فالمجد امرأة يا كل هؤلاء !!

وفي النهاية، كنت أدلف إلى بوابة المسجد العتيق بحارة المظلوم حينما كان الأذان يتعالى:

الله أكبر.. الله أكبر..

خلعت حذائي عند البوابة .. خلعت أفكاري المضطربة عند البوابة أيضا..

وارتفع صوت الإمام بالقرآن:

" قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم".

حوار مع امرأة مملة

لم ينطفئ نهار بيروت بعد، فالشمس لا تزال تتدلى برتقالة صفراء يحاول البحر إغراءها بالغرق.. صخرة "الروشة" تنتصب فنارا لبعض الرسامين والمصورين وراغبي الرحيل من الدنيا.. المجانين وحدهم يتكلفون عناء تسلق تلك الصخرة من أجل الانتحار.. لماذا يصعدون وأسباب الموت مشاعة في القاع؟!

اغمض عيني وأتجاوز تلك الصخرة تلاحقني قارئة كف لها وجه شحاذ وألف كف:

ـ سأذكر لك اسماء أعدائك بعشرة آلاف ليرة.

ـ ولكنني أريد نسيانهم ولو بمائة ألف.

ـ سأخبرك بمن جعل شعرك يتساقط وصلعتك أكثر لمعانا.

ـ لا يهم ذلك يا امرأة طالما أن لدي دستة من الكوافي .

ـ في حياتك عشرة رجال يحقدون عليك؟

ـ لا بأس .. فهناك امرأة تحنو علي.

ـ لكن بذلتك ضيقة.

ـ إنها مشكلة الجينات التي ورثتها عن جدي، فهي لم تراع مقاس البذلة جيدا.

ـ وشرابك مثقوب.

ـ لكي تطل قدماي على الدنيا.

- وعيناك حمراوان.

- كانت السهرة ملونة .

- حظك يقل الحديد.

- لكنني تكعبلت البارحة في الوسادة.

- أخبرني عن برجك أيها الرجل؟

- أنا من مواليد برج "الجدب".

والتهم البحر نصف البرتقالة الصفراء، فبدت كنصف رغيف.. وحينما تجشأ البحر شبعا، كنت قد جلست لتوي على قارعة الرصيف أتأمل قمرا كان يختفي من الشمس خلف ستائر البيوت.

الوداع الأخير

أنت لا تدري متى قمت بوداعها آخر مرة..
كل ما تتذكره أنك لم تكن تظنه الوداع الأخير
لذا لم تنتش برائحة عطرها أكثر..
لم تبحر في نهر عينيها أكثر وأكثر..
لم تطبق جفنيك على ملامح وجهها أكثر وأكثر وأكثر..
فانسلت من بين عينيك كشعاع ضوء
وها أنت تدرك الآن خطورة أن يدمن الرجل امرأة !

لا تهد طفلك طائرا ولا حبيبتك وردة

أن تهدي طفلك طائرا في قفص
فهذه أولى خطوات إعداده كسجان
أن تقطف لحبيبتك وردة
فهذه فاتحة التعريف بأنك قاتل للجمال
خذ طفلك إلى الفضاء الرحب
ودعه يغرد مع العصافير
خذ حبيبتك إلى الخميلة
وقل لها : إنك من فصيلة الأزهار
فالطير في السماء نجمة
والوردة في غصنها حياة
فدع العصافير
تقتات من كفك حَبا
ومن قلبك حُبا
واشرع صدرك موانئ
تسافر إليها الورود بعبقها مطمئنة
فالعصافير لا تغني
على نوافذ القساة
ولا تمطر الأغصان وردا

شهرزاد.. وخارطة لسيكلوجية الرجل!

في كل مرة استعيد فيها قراءة "ألف ليلة وليلة" أقف مسحورا أمام ذكاء شهرزاد التي لم تحل طلاسم شهريار فحسب، ولكنها استطاعت أن ترسم إلى حد ما خارطة لسيكلوجية الرجل في علاقته بالمرأة.. فالرجل يريد امرأة بلانهاية، امرأة تضعه دائما في حالة ترقب وانتظار ودهشة، امرأة لا يصل معها إلى الغلاف الأخير.

وبطبيعة الحال ليس كل النساء شهرزاد، وإن كنت لست على يقين بأن ليس كل الرجال شهرياراً أيضا، لكنني أعرف أن بعض النساء كتمثيلية السهرة، تستطيع أن تدهشك لمرة واحدة فقط، بينما البعض الآخر - وهو الأكثر ذكاء - أشبه بالمسلسلات المكسيكية الطويلة التي يمكن أن تضعك في حالة انتظار وترقب ودهشة ربما العمر كلّه..

ومع هذا يظل من الإنصاف القول: إن الكائن البشري ليس لغزا، ولكنه مجموعة ألغاز بعدد الرؤوس التي تستيقظ كل صباح لتجدف مع الآخرين في نهر الحياة، لكن أكثر تلك الألغاز صعوبة هو لغز الكائن الفنان، "أديب، رسام، موسيقي الخ.. " فالفنان كما يصفه برنارد شو في إحدى مسرحياته، يعشق المرأة المثال، وأن من الصعب على أية زوجة في الدنيا أن تكون في مستوى الفكرة المثالية الحالمة التي يكونها الفنان للمرأة قبل زواجه منها، ولعل هذا ما يجعل من فئة الفنانين أقرب إلى طبيعة الغجر تحكمهم نزعة الترحال بحثا عن

"مثال" آخر بعيد وجديد يحلم بالاقتران به، حتى أن الأديب بلزاك يقول: "إن المرأة التي تعاشرها هي رواية لن تكتب".

وأغلب الظن أن "شهريار" كان من هذه الشريحة وإن كانت الحكاية لم تقل لنا عنه الكثير في هذا المجال، لكن ما يمكن تقريره في ضوء انتصارات شهرزاد أن الرجل كائن يمكن ترويضه حتى ولو كان زعيما فنيا مثل"بيكاسو" ذاته الذي اقتضت رحلة عمره الإبحار في موانئ سبع نساء قبل أن تروضه "جاكلين روك " التي تصغره بنصف قرن لتجعل من كبير المتمردين بيكاسو كائنا أليفا يكسر مجدافه ويحرق مراكبه ليستقر على شاطئ إغرائها ما تبقى له من عمر !!

قلب المرأة وعقول الرجال

يقول الشاعر والروائي الفرنسي لا مارتين: "إن عبقرية المرأة تكمن في قلبها"، فالمرأة تحب بقلبها، وتكره بقلبها، وتفكر بقلبها أيضا، ورغم ذلك فإن قلبها الذي اتخذته دليلها نادرا ما يخذلها، فهو كثيرا ما يقودها إلى الصواب.

والمرأة أكثر حساسية من الرجل، وأسرع استجابة منه للمؤثرات الوجدانية، خاصة أنها تميل - في العادة - إلى التعامل مع الأشخاص أكثر من الأفكار المجردة، فتتلون الكثير من مواقفها بـ "العاطفية"، إلا أن عاطفة المرأة هذه غالبا ما تبحث عن أمانها في ظل دقة "الحدس"، فللمرأة قدرة على الحدس تقودها في الكثير من الأحيان إلى نوع من الحقائق التي يعجز منطق الرجل عن بلوغها.. وهذا الخاصية عرفت بها المرأة عبر التاريخ، حتى أصبحت سمة من سماتها، وملمحا من ملامحها.

وحدس المرأة هذا لغز يستعصي على التفكير العلمي، ولكنه حقيقة لا يجادل فيها الكثيرون، خاصة أولئك الأزواج الذين لهم مع حدس زوجاتهم الكثير من الخبرات المدهشة، فالمرأة تستشعر المتغيرات العاطفية لدى الرجل حتى ولو حاول إخفاءها.

وأغلب الظن أن "زرقاء اليمامة" التي يقال أنها كانت ترى من مسيرة ثلاثة أيام فتحذر قومها بني جديس من اقتراب العدو، إنما كانت ترى

بعيون القلب، أي بحدس المرأة في دواخلها.

ومثلها "حذام" اليمنية التي حذرت قومها من اقتراب العدو لما رأت سرب القطا يطير ليلا، فقالت مقولتها الشهيرة: "لو ترك القطا ليلا لنام"، فكذبوها فداهمهم العدو، فأنشد زوجها يقول:

إذا قالت حذام فصدقوها

فإن القول ما قالت حذام

فلم يكن لسرب القطا أن يثير تفكير الرجال، لو لم يتنبه له قلب المرأة.. فهل يصدق القول: "إن قلب المرأة يساوي عقول عشرة رجال"؟!

حساسية المرأة وألسنة الرجال

ثمة أسطورة هندية تقول: إن زهرة اللوتس سقطت على فتاة تدعى لورا فجرحتها، فلقد كانت مرهفة الحس إلى الدرجة التي لم تتحمل معها سقوط زهرة.. وهذه "سميرأميس" التي تربعت على عرش آشور وبابل وخاضت المعارك حفاظا على ذلك العرش تهزمها شعيرات بيضاء ومضت ذات مساء عبر شعرها الفاحم فخلعت التاج طواعية عن رأسها وأسدلت ستائر النسيان.. وتلك "كليوباترة" التي أحنت بسحر جمالها هامات القياصرة تخدشها بلادة "أكتافيوس" فتنتحر بلدغة ثعبان.

هذه الحساسية المرهفة التي تتسم بها المرأة لم تمنع جنس الرجال الخشن من أن يكف عن إطلاق قذائفه الكلامية صوب المرأة، حتى الرجل الصيني المؤدب يقول: " إذا اجتمعت امرأتان فلن يتوقف لهما حديث، وإذا أصبحن ثلاثا فلن يتوقف لهن شجار"، ويخلع الإنجليزي ثوب "الجنتلمان" وهو يصف المرأة قائلا: "إن آخر شيء يموت في الرجل قلبه وفي المرأة لسانها"، وليس غريبا أن يتدخل الأمريكي في هذه الحرب الباردة فيقول: "إن السر الوحيد الذي تخفيه المرأة هوالذي لا تعلمه"، ونجد مثل هذه الأقوال في مختلف الثقافات حتى أن بعض المؤلفات الرجالية قد اقتصرت على تجميع ما قيل ويقال عن المرأة.

والحقيقة أن لسان المرأة أكثر رقة من أن يخوض هذه المعارك بنفس

منوال العنف الذي يخوض به الرجل، فلا نكاد نجد شيئا يذكر في هذه المواجهة ربما باستثناء بعض الانفجارات الصغيرة مثل تلك التي قالت: "إن على المدارس أن تعلمنا كيف نتعامل مع أعدائنا الرجال بدلا من تدريسنا الجغرافيا"، لكن المرأة الحديدية مارغريت تاتشر تخرج عن قانون الرقة النسائية لتسدد ضربة قاضية إلى مرمى خصومها الرجال فتقول: "إذا أردت شيئا يقال فاسأل رجلا، أما إذا رغبت في شيء يفعل فكلف به امرأة"، وكأنها تريد أن تقول أن الرجال مجرد ظاهرة صوتية فقط!.

تاريخ النساء وجغرافية الاستبداد

لأوسكار وايلد قوله: " إن تاريخ النساء أسوأ تاريخ للاستبداد، فهو استبداد الضعيف بالقوي، وهو الاستبداد الوحيد الذي يدوم"، ولعل "وايلد" قد هاله كم الرجال الأقوياء الذين يخافون من زوجاتهم أمثال: لنكولن وديكنز وبيراندللو وملتون ونابليون الثالث، فجميع هؤلاء قد عانوا كثيرا من شراسة زوجاتهم، فمنهم من هرب، ومنهم من قضى نحبه. ومما يروى أن الشاعر المسكين "جون ملتون" كانت تتركه زوجته بعد أن فقد بصره ساعات طوال دون طعام أو ماء، وكان للروائي شارل ديكنز زوجة يصفها بعض النقاد بأنها خرقاء العقل تحك ذقنها في كل كرسي تمر به وتثور لأتفه الأسباب، ولم يكن أديب إيطاليا بيراندللو أحسن حظا من غيره، إذ يقال إنه قد ابتلي "الغلبان" بزوجة عذبته كثيرا بشكوكها وغيرتها وعجزها عن تفهم طبيعته كفنان.. حتى الرئيس الرئيس الأمريكي إبراهام لنكولن الذي حرر العبيد عجز عن تحرير نفسه من سلطة زوجة جائرة، أجمع الباحثون أنها كانت من أهم أسباب حزنه، ومثله نابليون الثالث الذي كان يهرب من زوجته إلى الطرقات ليحسد بسطاء الناس وهم يتأبطون أذرع زوجاتهم في سلام.

فإذا كان هؤلاء الذين حكموا العالم أو أولئك الذين سيطروا على فكره طويلا قد عانوا من استبداد زوجاتهم، فإن خاصية الاستبداد ـ كما يبدو ـ ليست حكرا على زوجات المشاهير، فلقد تظاهر قبل بضع

سنوات عدد كبير من البنغلاديشيين مطالبين الحكومة بحمايتهم من زوجاتهم بعد أن تعرض بعضهم لتعذيب بالغ، وقد طالب المتظاهرون البنغلاديشـيون يومها بتشكيل محكمة خاصة للنظر في حوادث العنف التي يتعرض لها الأزواج.

وإذا كنت لا استطيع أن أنفي حدوث المظاهرة في بنغلاديش بعد أن بثتها وكالات الأنباء إلا أنني أتشكك في صدق معاناة نابليون الثالث ولنكولن وديكنز وملتون وبيراندللو وغيرهم من المشاهير، وأكاد أقف في صف زوجة الأديب الروسي الكبير "تولستوي" التي تحلل انحياز التاريخ للعباقرة ضد زوجاتهم بقولها: "إن زوجات العظماء العباقرة تعيسات شقيات في حياتهن، وهن الضحايا التي تعمل فيها الأجيال خناجرها دون رحمة".

امرأة وأكثر من صورة

إذا تباينت المرأة في عيون الفنانين فكانت كما يقال رقيقة كالفراشة لدى "رافائيللو" وكتلة لحم وشحم لدى "روبنز" ومسترجلة عند "مايكل أنجلو"، فإن لها في عيون الأدباء صورا أخرى، فهي مخلوق متبوع لدى "أحمد رامي"، تابع لدى "العقاد"، مثال لدى "المنفلوطي".

فلقد عرف عن الشاعر أحمد رامي استسلامه في علاقته العاطفية بالمرأة، ذلك الاستسلام الذي يصل إلى حد التلذذ بعذاباته، فهو أبعد ما يكون عن الكبرياء في الحب، وجل قصائده تستجدي عطف الحبيب:

"صبرت سنين على صدك
وقاسيت الضنى بعدك
عشان تعطف علي يوم"

وحتى حينما يضن الحبيب بعطفه، فإن ذلك لا يغير من موقف رامي شيئا، فهو يستعذب الصبر ويرتضي الحرمان:

"أيام ما كنا احنا الاثنين
إنت ظالمني وانا راضي"

فلأحمد رامي في الحب مذهبه الخاص الذي يرفض أن يلام على اتباعه:

"خلوني أحبه على هواي
واشوف في حبه سعدي وشقاي

دا مهما طول شوقي إليه
ومهما زاد هجره وبكاني
بكره يعز الود عليه
ويفتكرني عشان ينساني"

وعلى عكس رامي نجد العقاد الذي يرى المرأة مخلوقا تابعا، ولعل هذه النظرة هي التي جعلت من علاقة العقاد بالمرأة لا تتسم بالثبات، ولا تخلو من القسوة والريبة والشك، وتنعكس هذه النظرة في علاقته بـ "سارة" بطلة روايته المسماة باسمها، ومع سمرائه التي عشقها وهو في سن الخمسين ولم ينعم طويلا بحبها، فلقد أسهمت نظرة العقاد تلك للمرأة إلى نفورها منه رامية نفسها في أحضان الأضواء لتصبح نجمة سينمائيةشهيرة.

أما المنفلوطي فالمرأة لديه مثال أو خيال أو طيف، فهو يحب الجمال خيالا أكثر مما يحبه حقيقة، إذ يصف علاقته بالمرأة فيقول: " مثلي مثل ذلك الرجل الذي أحب امرأة فاستزارها فمانعته حينا ثم زارته، فلما رآها ذهب لينام/ فعجبت لشأنه، وسألته:

ـ ما بك؟!

فقال:

ـ أريد أن أنام لعلي أرى طيفك فيه"!

تلك هي المرأة في عيون الأدباء، ولكن من يعلم شيئا عن صورة أولئك الأدباء والفنانين في عيونها؟!

ربما أحبك غداً !

حينما التقى الموسيقار البولندي "شوبان" لأول مرة بالكاتبة الفرنسية "جورج صاند" في منزل صديقه "فرانس ليست" لخص انطباعه الأول عنها بقوله: "يالها من امرأة سمجة.. هل هي امرأة حقا؟.. إنني ميال إلى الارتياب".

وحينما التقت المطربة اللبنانية فيروز لأول مرة بعاصي الرحباني، استعطفت أستاذها حليم الرومي قائلة: "دخلك يا أستاذ دع الكل يلحن لي إلا عاصي"، وحينما استفسر الرومي عن سبب ذلك.. قالت فيروز:

ـ "هيك ما بحب أحكي معه" !

لكن العجيب في الأمر أن علاقة حب عميقة جمعت بعد ذلك بين "شوبان" و "صاند" استمرت سنوات، أنتج في ظلها "شوبان" أجمل روائعه الموسيقية مثل: "المازوركا الثانية" و "المقدمات" و "البولونيات"، كما كتبت "صاند" في تلك الفترة أشهر أعمالها الأدبية مثل روايتها الشهيرة "ليليا" و "شتاء في ميورقا".

حتى أن اسمها كان آخر ما نطق به "شوبان" وهو على فراش الموت، إذ قال: "أين حبيبتي صاند لقد وعدتني أن أموت بقربها" !

أما ما كان من أمر فيروز والرحباني بعد ذلك فالجميع يعرف قصة الحب التي جمعتهما وتوجت بالزواج.

وفي الحالتين ما يدعونا إلى التأمل بأن قلب الإنسان يمتلك القدرة على الرحيل من تخوم الكراهية إلى موانئ الحب.

والخلاصة: أنا أكرهك اليوم ولكن .. ربما أحبك غدا !!

آخر العذريين .. ثم جاء بعدهم الطوفان!

ثمة نوع من الحب يطغى فيه الخيال على الواقع، ويسمو فيه طيف الحبيب على الحبيب ذاته، ومن رموز هذا الحب الأديب العربي المنفلوطي الذي يقول: " أعجب ما أعرف من أمر نفسي أني أحب الجمال خيالا أكثر مما أحبه حقيقة، فمثلي مثل ذلك الرجل الذي أحب امرأة فاستزارها فمانعته حينا، ثم زارته فلما رآها تركها وذهب لينام فعجبت لشأنه، وسألته:

ـ ما بالك؟

فقال لها:

أريد أن أنام لعلي أرى طيفك في المنام"

ومثله في الحب الروائي الفرنسي جوستاف فروبل الذي وقع في عشق الشاعرة الباريسية (لويز كولت) التي يصفها هنري ودالي توماس بأنها هزيلة الموهبة جليلة الحسن، وأن أعلام الأدب في باريس لم يتحمسوا لجمال شعرها، ولكنهم تحمسوا لشعر جمالها، لكن (فروبل) الذي يوصف بالفظاظة كان ينظر إليها بعيني عاشق فيقول عنها: (إنها ليست أجمل نساء باريس وحسب، بل هي أذكاهن كذلك)، وفي غمرة هذا الحب الكبير تأتي كلمات فروبل المفاجئة التي دهشت لها باريس وهي تستمع إليه يقول: " لم يحدث قط أن احتضنت امرأة حقا ولا لويز ذاتها، وكل الذي ضمته ذراعاي إنما كان خيال الحب وليس الحب نفسه" !

ومن الذين ينتمون إلى هذا النوع من الحب الشاعران العراقي بدر شاكر السياب، واللبناني جبران خليل جبران، فالأول رغم الاسماء التي وردت في دواوينه ابتداء بـابنة عمه وفيقة، مرورا براعية الأغنام "هويل" وصولا إلى الشاعرة العراقية (لميعة) نجده يقول في إحدى رسائله: " مرت السنون وأنا أهفو إلى الحب، ولكني لم أنل منه شيئا"!.. أما جبران فرغم كل ما قيل عن تعدد علاقته التي تضم "حلا الظاهر" و "ماري هاسكل" و "ميشيلين" و "بربارة يونج" ومن البعد "مي زيادة" نجد الناقد ناجي علوش يؤكد أن جبران لم يكن متهتكا أو منحلاء فهو لم يبتذل ولم يفحش، ويورد عن بربارة يونج صديقة جبران قولها: "أحبته نساء كثيرات بحرارة وإخلاص حبا مجردا لا مطمع فيه، حبا لم يتطلب منه شيئا، ولا كان ينتظر منه شيئا"، فلقد حرص جبران في كل علاقاته العاطفية أن يخترع شيئا من المسافة تسمح لمشاعر الحب أن تحتفظ بنقائها.

وأخيرا أجدني أتساءل وسط كل التبلدات العاطفية التي اتسم بها عصرنا، هل كان هؤلاء آخر العذريين ثم جاء بعدهم الطوفان؟!

قراصنة السعادة

اضحك حتى ولو سرق قراصنة السعادة جزءا من فرحك
لملم شظايا خاطرك المكسور
وانصب رأسك سارية لا تنحني للريح
اسكن داخل قلبك
فالقاع ليس موطنا للحمام واليمام والعصافير
وكل الذين طاروا لم يحتاجوا لغير إرادة الطيران
حلّق بعيدا وعاليا..
فجاذبية الحزن لا تلقي القبض إلا على المستضعفين
وأنت لك الدنيا وكل الأزمنة
فكيف يضيق بك المكان؟
أو يغتالك الوقت؟!
طرز أملك كسجادة شيرازية مزركشة الألوان والأشكال
فكل بساط طائر نسجته أنامل سحرية في رأس إنسان
فاغزل بساطك واصعد، اصعد، اصعد..
امتط صهوة قلبك واصعد..
اشعل فتيل وجدك واصعد..
اسدل زمام روحك واصعد..

إن الحزن قزم قادر على الركض
ولكنه عاجز عن الطيران.

لا تيأس

لا تيأس ..
ارم حزنك على أرصفة الدنيا
واصفع بقدميك الأرض، وامش
فالشمس ستشرق غدا
وسيعبر الزمان من تحت النافذة
وحينما تفتح الستائر
ستجد همومك راحلة
فالحزن طائر جوال
يرفض أن يعيش العمر داخل قفصك الصدري
فالأرض تدور..
والزمان يدور..
حتى الحزن يدور أيضا
ودفتر العمر مليء بكل شيء
فمزق صفحات حزنك الآن
واغر فجرك بالقدوم
فالسعادة كالحمائم الأليفة
تطير بعيدا، ولكن
سرعان ما تعود إلى أعشاشها

فاشرع قلبك موانئ
تغري عصافير الفرح بالقدوم.

روشتة سعادة

متوسط عمر بعض الكائنات الحية لا يتجاوز ٤٢ ساعة، ورغم هذا العمر القصير فإنها تلعب وتمرح وتحلق وتتزاوج وتنجب قبل أن تموت.. ويعيش الإنسان عشرات السنين ولكن رهين الخوف والحزن ورعب المجهول وانتظارات الموت!!

فكيف يستعيد الإنسان سعادته المسروقة من ركاب الحزن؟

كيف يسترجع الإنسان أمانه المسلوب من قبضة الخوف؟

كيف ينبت في دواخله إيمان يهزم رعب الألم وخشية المجهول؟

لماذا لا نلعب ونمرح ونحلّق ونتزاوج وننجب بلا رعب.. بلا حزن .. بلا خوف؟!

لماذا لا نبتهج بالفجر كما تغرد الطيور، وتتفتح الورود، ويتألق الوجود؟!

لماذا لا نمتطي صهوة الشمس في نهاراتنا، وإذا ما حلّ المساء نسرج فتيل الخيال غناء:

"يا قمرنا يا مليح.. شد حصانك واستريح"

فهذا القمر الذي نراه الآن كوجه مغولي شاحب هو نفس القمر الذي كان له في طفولتنا عينان وشفتان وسرج وحصان.. ولم يتغير القمر ولكن نحن الذين فقدنا عذرية الإبصار!

فلنمسح عدسة الرؤية من غبار الزمن وضباب الأسى وقسوة الأيام..

ولنغسل دواخلنا من عوالق الضغينة والكره والأحقاد..

فأعظم "روشتة" للسعادة هي:

"كن جميلا .. ترى الوجود جميلا"

وماذا بعد:

"وتمتع بالصبح ما دمت فيه... ولا تخف أن يزول حتى يزول"

كلب لكل امرأة ثرثارة

يعيش العالم اليوم حالة جنون مخيف، تعكسها الأخبار التي تتدلى من الصحف يوميا، ومن أطرفها خبر ذلك الرجل الأسباني الذي فشل في إسكات خطيبته، فأمر كلبه وهو من الأنواع الشرسة بمهاجمتها، وقد فعل الكلب ابن الكلب ما أمره به صاحبه، فانقض على عضد المسكينة وبقي ممسكا به إلى أن أطلقت الشرطة عليه النار وقتلته، بعد أن فقدت الفتاة الكثير من دمائها.

وقد أثار هذا الخبر شهية صاحب لي، فقرر شراء كلب من ذلك النوع المتوحش للاستعانة به في إسكات زوجته الثرثارة، مؤكدا أن ما فعله ذلك الأسباني لا بد أن يسجل له كبراءة اختراع تقديرا من كل الرجال الذين ابتلاهم الله بزوجات أدمن شهوة الكلام، فلا يسترحن ولا يرحن..

لكن ماذا عساها أن تفعل زوجة الرجل الثرثار؟

من المؤكد أن ثمة رجالا مبتلعون ألف مذياع ، وأن زوجاتهم يعانين الكثير من كثرة "البث" ، واحدة منهن وجدت الحل، فقصت لسان زوجها بالمقص ليلا، ومن حسن حظها أن لسان ذلك الزوج من كثرة الكلام ، كان لسانه يتدلى خارج فمه وهو نائم، الأمر الذي سهل مهمتها وحقق غرضها..

وبعبارة مختصرة: إذا كان لا بد من كلب لكل امرأة ثرثارة ، فإن على

الرجال أن لا يتركوا ألسنتهم مدلاة إذا ما جن الليل وازدادت "طقطقة" المقصات.

موت سائح جدا !!

مغنية فرنسية في ركن الشارع تعزف على معزف وحيد الوتر، يتقاطع عزفها مع طرقات الكعوب العالية على الرخام، وانسكاب رائحة العطر من مقاهي الأرصفة.. كنت أقرأ درجة حرارة فنجاني بأطراف أصابعي، حينما عبر الرصيف مرتديا ظهره المقوس وصلعته اللامعة ذات العشب الأبيض على أطرافها .. ذراعه خالية إلا من ذراع أخرى تتعلق بها..

يتعالى صوت المغنية بأبيات لطاغور:

"العالم يشبه ممرا غمرته المياه

يتدافع تيارها نحو الجهة الأخرى

حاملا أكداسا من كل شيء"

وشارع "الشانزليزيه" يشبه ممرا غمرته الحياة، يتدافع تيارها في جهات متعاكسة، وأنا أعصر آخر الدموع في إبريق الشاي، حينما التف المارة حول ذلك الرجل الذي مر من هنا..

لم تستطع تلك الذراع المعلقة به أن تسند جسده المتخم بالسنين، فهوى كشجرة عجوز، وطبيب ينهي تسكعه على الرصيف محاولا إنقاذه، بينما انشغلت صاحبة الذراع الناعمة بجمع ما تناثر من جيب الرجل!!

وتمضي عربة الإسعاف بالرجل وحيدا.. والمغنية الفرنسية بدأت تلوك

أغنية جديدة:

حينما تسـقط الوردة الذابلة من الشـجرة

لن يهبط أصدقاؤها الطيور لإعادتها إلى الغصن

وفي الصباح جاء في نشرة إحدى الصحف خبر صغير بعنوان: "موت سائح جدا" !!

أصدقاؤنا الأذكياء.. أصدقاؤنا الحمقى !!

سئل الفنان عمر الشريف عن أصدقائه فقال: "لدي مجموعتان من الأصدقاء الأولى مجموعة من الأذكياء، والثانية من الحمقى"

هذا الكلام يمكن أن ينطبق علينا أيضا.. دعنا نجرب.. أخرج من جيبك المفكرة التي تضم اسماء أصدقائك، ضع إشارة ذكي أو أحمق أمام كل اسم، أجمع بعد ذلك عدد الأذكياء من أصدقائك، ثم اجمع عدد الحمقى، فإذا كانت الغالبية من الحمقى فأنت في حالة صعبة، وإن كانت الغالبية من الأذكياء فالحال أصعب. إذ لو كان من الممكن أن تحذر صديقك الأحمق، فماذا عساك أن تفعل بصديقك الذكي، خاصة إن كان من أولئك الذين يلعبون بالبيضة والحجر أو يجيدون الحياكة بالسبع الإبر؟!

لا يحزنك يا صديقي أن تعج مفكرتك باسماء الأصدقاء الحمقى أو باسماء أصدقائك الأذكياء، فمفكراتنا ـ مثلك ـ ملأى بالصنفين أيضا، ونحن كذلك في دفاتر الأصدقاء!!.. لا تحزن يا صديقي حتى لو خلت مفكرتك من الأصدقاء، فالأصدقاء والأعداء يريدون منك اليوم أن ترقد على سرير (بروكرستس).. فهل تعرف قصة بروكرستس؟!

(بروكرستس) هذا كان يعاني من حالة نفسية، لذا كان يجبر ضحاياه على النوم في سريره، فإن كان الضحية أطول من السرير قص الزائد من ساقيه، وإن كان أقصر من السرير شد الضحية حتى لو اضطر إلى خلع مفاصله!!.. اليوم يا صديقي كلنا (بروكرستس).. كلنا نريد

اصدقاء حسب المقاس، والآخرون يريدوننا حسب الطلب !!

ويبقى السؤال: هل أنت حقا صديقي؟!.. قبل الإجابة أرجوك - إن كنت صديقي - أن تضع إشارة أحمق أو ذكي.. فمن الإنصاف أن تفعل ذلك، فلقد فعلت هذا أمام اسمك ألف مرة !!

كلنا في المحيط المتبلد يا صديقي

قد تشكو يا صديقي غدر الأصدقاء، والأصدقاء يشكون من عدم وفائك.. سلسلة الاتهامات يا صديقي تطالني وتطالك بل وتطال الأصدقاء.. كلنا يا صديقي أمام المرآة أبرياء، الآخرون وحدهم خارج المرآة يقبعون في قفص الاتهام..

راجع اسماء الأصدقاء في مفكرة هاتفك.. ضع من واحد إلى عشرة أمام كل اسم بحسب مقدار ظنك فيه كصديق.. اجمع بعد ذلك الأرقام، لا يحزنك أن تكون النتيجة تحت الصفر، فكلنا نعيش في المحيط المتبلد يا صديقي.

تسألني إن كان لي أصدقاء .. نعم يا صديقي، واسماؤهم لا تتسع لها مفكرة واحدة بل أربع مفكرات غير دفاتر الذاكرة.. خذلوني جميعهم دون أن يدروا، ربما لأنني خذلتهم دون أن أعرف !

سأحدثك عن بعضهم، ولكن من الإنصاف أن يحدثوك عني..

ذات يوم كنت أعمل مسؤولا في إحدى الصحف اليومية، وكان لي أصدقاء، هم كل الذين كنت رئيسهم، ونصف الذين لا أرأسهم، وربع الذين يرأسونني.. جميعهم كانوا يهدونني النعوت الجميلة، وكنت أعتب على المرآة الصدئة التي لا تريني ما يرى الأصدقاء.. وذات يوم أصدر رئيسي في العمل "فرمانا" بفصلي وطردي مانحا شخصي الضعيف تأشيرة خروج بلا عودة من بلاط صاحبة الجلالة

"الصحافة".. كنت لم انهض من كرسي الوظيفة بعد حينما كان أصدقائي الأعزاء يتسابقون إلى غرفة الرئيس لمنحهم صلاحية الجلوس على نفس الكرسي.. وبقينا أصدقاء!

ليس هؤلاء كل أصدقائي يا صديقي، فلدي من أمثال هؤلاء كثيرون.. لي صديق جميل إذا كان على بعد ألف ميل، ويمكن أن يتحول إلى نصف صديق، وربع صديق، ولا صديق إذا ضاقت المسافة واختلطت المياه الإقليمية ببعضها، وقد تحتاج بعد ذلك إلى محطة لتنقية مياهك التي تراها أنت وحدك عذبة من مائه العكر..

صديق آخر يريدك أن تتحول معه إلى "ما يطلبه المستمعون"، وتأتي مصيبتك معه كونه المستمع الوحيد، وعليك أن تغني مديحا يا وحيد..

صديق ثالث يحتاج التعامل معه إلى قراءة النشرة النفسية اليومية .. فأنت في حاجة لأن ترتدي معطفك حينا لاتقاء بروده، وحينا تخلع "شماغك" وتسفر عن صلعتك بيانا جهارا لتمسح عنها حبات العرق المتساقط من دفء الصداقة وحرارة المشاعر..

ورابع وخامس، هكذا إلى الألف..

وبدلا - يا صديقي - من أن تحذر عدوك مرة وصديقك ألف مرة، كن صريحا وقل:

معذرة يا صديقي ليس هناك متسع للمزيد من الأصدقاء!

كلنا يا عزيزي في قفص الاتهام

كان بين الكاتب الساخر "برنارد شو" وبين السياسي البريطاني "ونستون تشرشل" صداقة وثيقة تسمح لهما بأن يتبادلا نوعا ثقيلا من المداعبة، وقد استغل "بيرنارد شو" فرصة عرض إحدى مسرحياته فبعث إلى "تشرشل" ببطاقتي دعوة مشيرا إلى أن إحداها له والثانية لصديقه إذا كان له صديق !

تذكرت هذه الحكاية وأنا أراجع المفكرة التي تضم أرقام هواتف "أصدقائي" بعد أن امتلأت عن آخرها في محاولة لتخفيف أعبائها، وقد قررت ألا أبقي بها من الأرقام إلا أرقام الأصدقاء الحقيقيين.. وبعد عمليات جرد معقدة لمواقف الكثيرين معي ومواقفي مع الكثيرين اكتشفت أنني لم أصل إلى درجة "تشرشل" وإن كنت لم أعد في حاجة إلى "نوتة"، فالأصدقاء الحقيقيون من القلة بحيث لا أحتاج إلى مفكرة لتذكر أرقام هواتفهم، وهم كالتالي: واحد "مات"، وواحد "فات"، وثلاثة أربعة بـ "النيات".

وفي محاولة لإضفاء صفة الموضوعية على هذا التقويم رحت أسأل نفسي: من يتحمل مسؤولية هذا التناقص في عدد الأصدقاء الحقيقيين في حياتنا المعاصرة، أنا أم الآخرون أم طبيعة الزمن؟

" الزمن" متهم لأنه جعل لهاث ركضنا يطغى على كل شيء..

"هم" لأن درجة حرارة صداقتهم ظلت تتغير كالنشرة الجوية صعودا

وهبوطا بحسب المصالح والمواقع والظروف..
"أنا" لأنني قد أكون واحدا من الـ "هم" في مرآة الآخرين، بعيدا عن مرآة الأنا التي اعتدت أن أرى نفسي فيها نقيا وفيا مخلصا، تماما كما يرى الآخرون ذواتهم.

والحقيقة أننا لو كنّا كلنا أبرياء، فمن المسؤول عن تدهور علاقتنا الاجتماعية؟!.. ولو كنا كلنا مثاليين فمن المسؤول عن الخيانة والغدر وظلم الإنسان للإنسان؟!

وفي النهاية معذرة عزيزي القارئ ، فأنا لا أتحدث عن نفسي.. ولكن كلنا يا عزيزي في قفص الاتهام!

أنا متهم..

وأنت متهم..

كلانا متهمان في عيون الآخرين..

والآخرون متهمون في عيوننا !

كن المركب والبحر والسارية

هل الإنسان كائن عدواني؟

يعتصر الواحد منَّا هذا السؤال الصعب في كل مرة يحمل فيها قلبه على كفه ليمنح كل الابتسامات التي تعترض طريقه حبا، فيكتشف بعد فوات الأوان أن جل تلك الابتسامات كدعاية معجون الأسنان ليس فيها من الابتسام سوى بريق الأنياب.. فما أكثر ما حملنا رياحين القلب إلى مشاتل الآخرين لتموت غريبة في سباخ الجحود والغدر وجدب الوجدان.

والحل:

أن تلملم ذاتك المبعثرة في ركاب الآخرين.. أن تضغط على زر "مسح" ليعود إلى ذاكرتك نقاء يوم مولدك، فتسترجع استقلاليتك المسروقة من هزائم العمر.. بعدها يجب أن لا تمنح قلبك ولا عقلك ولا ذاتك فرصة الوقوع في قبضة القراصنة من جديد..

عش ذاتك كشجرة "نيم" شامخة، قادرة على الصمود في وجه الريح والجفاف وعبث الصبيان، فكل الذين تحولوا إلى شجرة "لبلاب" يسقطون حينما ينهك الزمن تلك الأسوار التي يتكئون عليها..

فكن المركب والبحر والسارية والربان والفنار.. وحاول أن تعش مع ذاتك في سلام.

يتامى « مصطفى أمين » !!

كن ذاتك في أرجوحة الحياة إن صعدت حافظ على ذاتك من الدوار، وإن هبطت حافظ على ذاتك من الانكسار.. أدر ظهرك لأصدقاء المنصب قبل أن يديروا عنك وجوههم، فلن تخسر سوى حفنة من وجوه كالحة.. أثناء وجودك على الكرسي، لا ينتابك الغرور إذا ما تكاثر حولك المداحون، وعند هبوطك عنه لا تحزن، فلقد أراحك الله من صحبة المنتفعين.

وقد سألت ذات يوم شخصية كبيرة مرموقة بعد إحالتها إلى التقاعد:

ـ ماذا تغير عليك بعد إحالتك إلى التقاعد؟

صمت برهة قبل أن يجيب: "ذهب الذين لا خير في صداقتهم، وبقي الذين لم نكن نحتاج إلى دليل على صدق مشاعرهم".

وحينما كان "نابليون" في طريقه إلى المنفى قذفه "أحدب" بقشرة موز، فالتفت نابليون إلى الرامي الذي كان يحاول أن يتخفى وسط الجموع لكيلا يتعرف عليه نابليون، خاصة أنه كان مهرجا في بلاطه، فقال له: "يا هذا أجدى بك أن لا تتخفى، أظهر وجهك وقل أنا.. فلربما تدخل كتب التاريخ بأن أحدب قد استطاع قذف نابليون بالقشور، فينتصب ظهرك كي يتمكن قراء التاريخ من أن يبصقوا على وجهك".

وحينما أجبر مصطفى أمين على مغادرة أخبار اليوم افتقده جل تلاميذه، أما البعض فلقد سنُّوا ألسنتهم وأسنانهم لنهشه حقا وباطلا،

وحينما أخبر مصطفى أمين بموقف هؤلاء بعد خروجه من السجن ابتسم قائلا: "إذن اطلقوا شائعة باحتمال عودتي من جديد لتروا ماذا سيصنع هؤلاء"، ولما تطوع بعض أصدقاء مصطفى أمين بإطلاق الشائعة بدأت أجراس هاتف مصطفى أمين تدق من جديد، ودائما على الطرف الآخر يكون "أحدهم" مؤكدا: " نحن من بعدك يتامى يا مصطفى بيه"!

فليكفنا الله وإياكم غناء المداحين، وسفه الشامتين، ومن على شاكلة يتامى "مصطفى أمين"!!

٧ أيام في بلاد تأكل كل ما يطير ويسبح ويمشي

على مدى سبعة أيام وتلك المرشدة السياحية الحسناء "ساني" تحاول أن تتحدث بكل لغات العالم عن بلدها "كوريا".. وكيف استطاعت أن تنهض من بين ركام الحروب نمرا اقتصاديا ينافس الكبار، وكيف استطاع ذلك الكوري قصير القامة أن يقف شامخا جنبا إلى جنب مع أولئك الغربيين الطوال ناطحي السحاب..

كنت ضمن وفد صحافي نقضي طوال ساعات النهار بين ضجيج المصانع وهدير الماكنات، فإذا ما حل المساء انطلقنا إلى الشوارع نفتش عن الوجه الآخر لكوريا بقيادة مرشدتنا الحسناء التي تحاول أن تعبر بنا من بوابة القلب إلى كوريا التراث والـ "جنسنج" وموسيقى "الكيوجاك" ورقصة "الكورت".. سبعة أيام جميلة بدأناها بـ "سيول" العاصمة أو قلب كوريا ـ كما يقولون ـ مرورا بـ "بوسان" إلى جزيرة "جيجو" تلك الجزيرة التي يصفون ليلها بأنه مزرعة للنجوم.

لم يكن يشغلني خلال الرحلة سوى معرفتي بأن الناس في كوريا يأكلون كل شيء يمشي على أربعة باستثناء السيارات، وكل شيء يحلق في الفضاء عدا الطائرات، وكل شيء يسبح في الماء غير السفن والغواصات.. ولم اكترث بأن أشارك الكوريين أكل كل ما يحلق في السماء أو يسبح في الماء، ولكنني كنت شديد الحذر بخصوص الكائنات الأرضية ذوات الأربع، وليس مرد ذلك الحذر جنون البقر ولا

إنفلونزا الطيور، ولكن كان خوفي أن تضم المائدة شيئا من لحوم الـ "ك ل ا ب".. فأنا لا أريد أن افتح جبهة عداء مع هذه الكائنات في كوريا خشية أن يثأر مني أبناء جلدتها الذين يسرحون ويمرحون في مختلف شوارع العالم، خاصة أن العلاقة بين "الدياب" و "الكلاب" كالعلاقة بين "كوريا" و "كوريا"

وأخيرا فإن هذه القضية لم تكن تشكل سوى جزئية صغيرة غسلتها من الذاكرة أنهار من الحب والكرم والجمال الكوري.

زعيم الثيران

اعتدنا أن نطلق على "الأهبل" لقب ثور حتى تسلل الخبر خلسة إلى حظائر الثيران التي ثارت لكرامتها -ذات يوم- فانطلقت مجموعة منها من مرابطها في ميناء جدة لتسرح وتمرح في شوارع المدينة القديمة ناطحة رافسة كل من يقف في طريقها مخلفة قتلى وجرحى وحكايات ساخرة أصبحنا بعدها نعاير بعضنا بعضا في الشوارع بعبارة: (جاك الثور)!!

وقد تربصت الثيران بي بعد ذلك أثناء زيارة لي إلى "نيوزيلاندا" ضمن وفد صحافي ضم صحافيين من السعودية والكويت ومصر ولبنان وإيران، وحيث لا يمكن لأي وفد أن يزور تلك البلاد دون أن يكون ضمن برنامجه زيارة لحظيرة أو أكثر من حظائر الثيران، لذا فلقد وجدنا أنفسنا ذات صباح نستعد لزيارة زعيم الثيران الذي يعتبر الأب الحقيقي لملايين العجول النيوزلاندية عبر التلقيح الصناعي، فأدخلونا إلى غرفة معقمة وألبسونا ملابس خاصة وكأننا سنزور عزيزا في حجرة عناية مركزة، فرحنا نتساءل عن سر كل هذه الإجراءات، وهل هي لحمايتنا من عدوى الثيران، لكن المسؤول النيوزيلاندي أبي إلا أن يصدمنا بصراحته قائلا: (إن هذه الإجراءات الاحتياطية نقوم بها لحماية الثور من إمكانية انتقال أية فيروسات أوجراثيم معدية من الزوار إلى ثورنا العزيز)!..وثارت كرامة الوفد الشرق أوسطي

من (طهران) إلى ((جبل لبنان)) ومارسنا الاحتجاج والشجب والاستنكار على الطريقة العربية الشرق أوسطية التى سرعان ما تستلم لموازين القوى، حيث من المؤكد أن الميزان في (نيوزيلاندا) يميل لصالح الثيران.. وولجنا إلى حضرة الثور في طابور منتظم فوجدناه في استقبالنا على بعد أكثر من عشرة أمتار وعبارة(ممنوع اللمس) تلاحقنا بصرامة من كل المرافقين.. ولعل الثور قد أدرك أننا قادمون من بلدان بينها وبين الثيران علاقة (سوء فهم)، فراح يحرك ذيله ويوزع نظراته علينا بأكبر قدر من الغطرسة والاختيال، وطلبنا أن نأخذ صورة مع الثور للذكرى لنخبر الربع إذا ماعدنا الى أوطاننا بما آل إليه حالنا في الغربة، وإن كان بعض المسيسين قد أرادها وثيقة إدانة يمكن أن يبعث بها إلى جماعات حقوق الإنسان أو إقامة دعوى للحصول على تعويض لكل منا لا يقل عن ألف رأس من الثيران.. لكن (على مين تلعبها؟)، فلقد رفض النيوزلنديون منحنا هذه الفرصة بحجة أن الكاميرات تعكر مزاج الثور بن الثور!

ومن غيظي سألت أحد المرافقين عما سوف يفعلونه بذلك الثور إذا ما بلغ أرذل العمر، فأجاب وبراءة الأطفال في عينيه: نقطعه (هامبرجر)!.. فعلقت متشفيا: (إن كان من الممكن أن أحجز سندوتشا من الان؟!).. فمط النيوزلندي شفتيه وهو يتمتم بلا مبالاة:

وأمام هذه الخبرة التي جرحت فيها كرامة طابور طويل عريض من الصحافيين الإيرانيين والعرب رحنا نقلب قنوات التليفزيون عندما عدنا إلى المقر لنوقفه عند قناة أسبانية تبث مباراة ساخنة بين الثيران ومصارعيها، وتعالت أصواتنا تشجيعا للمصارعين بينما كان النيوزلنديون في "المدرج" الآخر يذرفون الدموع على هزيمة الثيران!!

ارحموا من في الجو

رغم كثرة أسفاري وترحالي إلا أنني لا أزال أعاني من بقايا "فوبيا" الطيران، واستعين للتغلب على خوفي بعدد من الآيات والأدعية المأثورة.. فأنا لا زلت على قناعتي بأن من ضروب المغامرة أن يعلق الإنسان نفسه بين السماء والأرض في تلك العلب الطائرة.. ولكن ما حيلة المضطر إلا ركوبها.

وأول مرة ركبت فيها الطائرة كانت من النوع القديم التي يمتلئ جوفها بالضجيج والهدير، فكان مضيف الطائرة يوزع قطنة لكل راكب لكي يسد بها أذنيه، وليتهم قد استمروا في هذا التقليد فنحن نحتاج أن نصم آذاننا أمام شهوة الكلام التي تنتاب بعض الطيارين والمضيفين أثناء الرحلة، فمرة نحن على ارتفاع ٣٠ ألف قدم، ومرة للمبيعات الجوية، ومرة ينادون على صابر بن أيوب لتعريف نفسه إلى أقرب ملاحي الطائرة، وأحيانا يبحثون عن طبيب، ولربما في المستقبل عن دلال عقار أيضا!

لكن أكثر المضحكات المبكيات تتمثل في التعبير الذي يفترض أن يرتسم على وجه ملاحي الطائرة أثناء الرحلة، والذي يمكن أن يمنحك الشعور بالأمان أو العكس، ومن سوء حظ بعض شركات خطوط الطيران أن المسؤولين فيها عن اختيار الملاحين الجويين يتسمون بحس رديء، إذ يكفي رؤية بعض هؤلاء الملاحين بـ "كشرتهم" التي تقطع الخميرة

من الخبز، وحواجبهم المقطبة، وعيونهم الزائغة لكي تشعر بأن ثمة حالة طوارىء على الطائرة، فتتمسك بحزام المقعد، وتتعلق عيناك بلوحة "عدم التدخين" وربط الأحزمة، وتتركز أذناك على ما يمكن أن يبثه كابتن الطائرة بصوته الأجش عن وجود مطبات جوية أو أعطال ميكانيكية، ولكن تكتشف بعد أن تموت ألف مرة أن كل شيء على ما يرام، وأن تلك السحنات المتشنجة الموتورة لبعض الملاحين لا علاقة لها بأوضاع الرحلة، ولكنها القناع الدائم الذي يرتدونه نظير خدمتهم لك، والتي لا يرونك مستحقا لها، إذ لو كان الأمر بيدهم لطبقوا نظام الـ "self srrvice" وكل واحد يخدم نفسه ..

فارحموا من في الجو يرحمكم من في السماء.

احذروا غرف النوم

ظهرت في الغرب منذ مدة شركات خاصة مهمتها التجسس على الأزواج، تلجأ إليها الزوجة إذا ما ارتابت في أمر زوجها.. ويقال أن نشاط هذه الشركات قد امتد إلى منطقة الخليج، بعد أن حظت هذه الشركات في الغرب برواج كبير، الأمر الذي دفعني إلى التفكير في منافسة «الخواجات» والعمل على تأسيس شركة مماثلة لتلك الشركات، خاصة أن رأسمال مثل هذه الشركة لا يتجاوز تأمين قيمة سيارة تتسم بالقدرة على ملاحقة سيارات الأزواج، وكاميرا، ونظارة شمسية حتى ولو كان المكان حالك الظلمة أو الزمان بعد منتصف الليل..

ولكوني لا أؤمن كثيرا برأي الخبراء في دراسة الجدوى، وربما لخوفي أن «يلطش» الدارس مشروعي، قررت أن أقوم بدراسة الأمر بمفردي، وكانت النقطة الأهم تحديد أجرة كل عملية، واهتديت إلى أن الأجرة تتحدد على ضوء تقديري لدهاء الزوج ومكره، فثمة أزواج يعجز «الإنتربول» عن متابعتهم أو اللحاق بهم، لذا فإن تحديد الأجرة سيتوقف على دراسة كل حالة على حدة.

ولكوني أعشق السفر قررت أن أجعل من الوكالة وكالة دولية مستفيدا من فرص «العولمة»، وبالتالي فإن على الزوجة المتضررة من زوجها والراغبة في مراقبته تحمل تكاليف الطيران وفنادق الدرجة الأولى وأعباء السهرات الملونة..

وبعملية حسابية بسيطة وجدت أن هذه المهنة لا تضاهيها أية مهنة أخرى من حيث الدخل ومتعة العمل، فهي تجمع بين الكسب والسياحة وبهجة المغامرة، ورحت أزف الخبر لزوجتي قائلا على طريقة «أرشميدس»:

ـ وجدتها.. وجدتها..

ولكن ما أن سمعت زوجتي تفاصيل المشروع حتى هبت واقفة وهي تسأل بتصف براءة عن عناوين الشركات المنافسة.

لكن ما أقلقني حقا وجعلني أخشى من انهيار مشروعي ذلك الخبر الذي بثته إحدى الوكالات، وخلاصته أن امرأة «زامبية» بدلا من أن تلجأ إلى شركات المتابعة لمراقبة زوجها «أبو عيون طويلة» قررت أن تحل الأمر بذراعها، فسجنت زوجها ثمانية أعوام في غرفة النوم لمنعه من خيانتها.

فماذا ترى سيحصل لو قررت النساء العربيات تقليد تلك المرأة «الزامبية»؟

مجرد سؤال.. ومع هذا علينا ـ معشر الرجال ـ أن نحذر غرف النوم بتجهيز باب خاص للطوارئ في غرف النوم، فالنساء يعشقن التقليد، واللياقة لا تحتمل ثماني سنوات سجن يا زوجاتنا العزيزات.

.. ومع ذلك فإنها تدور !!

أجبر الفيلسوف الإيطالي "غاليلو غاليلي"، الملقب بأبي العلوم الحديثة في القرن السابع عشر، على أن يكتب تعهدا يعلن فيه تخليه عن فكرة دوران الأرض حول الشمس التي نادى بها العالم البولندي " نيقولاس كوبرنيكوس" وذهب ضحيتها الراهب "غلوردانو برونو" الذي أحرق حيا في أحد ميادين روما. ويروى عن غاليلو أنه كتب أو قال: " نعم أنا غاليلو غاليلي أتخلى عن فكرة دوران الأرض حول الشمس.. ومع ذلك فإنها تدور"،.. هكذا كان موقف غاليلو من الحقيقة، فلقد كانت نزعته العلمية تميل به إلى تقدير الحقيقة وإكبارها، بل ودفع ثمنها أيضا، وقد دفعه بالفعل سجنا حتى الموت.

وبعد مضي ثلاثة قرون على تلك الحادثة أعلن البابا سحب قرار الحكم الذي أصدرته محاكم التفتيش ضد غاليلو.. وانتصار غاليلو على خصومه بعد موته يؤكد أن غلبة الحجة خير من غلبة القوة، فالقوة تزول أما الحجة فباقية.

ومثله الفنان الهولندي فان جوخ الذي لم يبع في حياته سوى لوحة واحدة، وقد حاول الكثيرون إقناعه بالتخلي عن أسلوبه الخاص في الرسم والاقتراب من المزاج الفني السائد آنذاك ليعيش كما عاش غيره من الفنانين الذين ركبوا موجة عصرهم، لكن فان جوخ الذي استغنى عن الطعام بأكواب من القهوة ليوفر ثمن الطعام بغية شراء بعض

الألوان لم يفعل إلا ما كان يراه يمثل ذاته.. ومات المسكين فقيرا معدما قبل أن يأتي العصر الذي أصبحت فيه لوحاته الأغلى على مستوى العالم.

فإن لم تجد ذاتك يا صديقي في عصرنا، فالأمر بسيط جدا، كل ما عليك أن تقف على رصيف الانتظار بضعة قرون، فلربما جئت قبل الأوان.. فقط أرفع عقيرتك في وجوهنا وقل: (.. ومع ذلك فإنها تدور)!

جنون « خمس نجوم »

هل بين العبقرية والجنون شعرة إذا اختلت اختلطت العبقرية بالجنون والجنون بالعبقرية؟!.. هذا السؤال لم يخض العامة وحدهم فيه، ولكنه امتد ليضم علماء نفس وفلاسفة ومفكرين بين مؤيد لوجود علاقة بين العبقرية والعصاب وبين ناف لها، ولكل فريق شواهده ومرتكزاته. ولست هنا بصدد الدخول إلى متاهة الجدل العلمي حول هذه القضية ولكنني سأكتفي بالوقوف على رصيف الحكايا لنتأمل معا جوانب الغرابة في سلوكيات عدد من هؤلاء العباقرة :

بلزاك الكاتب الفرنسي الشهير يسير في شوارع باريس، فينشغل عن كل مفاتن هذه المدينة الأنثى بجمع أرقام البيوت، فإذا شكل المجموع مضاعفات الرقم (٣) اعتبره فألا حسنا وإلا فإنه يعود إلى منزله ليبدأ مشواره عبر شارع جديد وأرقام جديدة.

ولم يكن الفيلسوف الكبير جان جاك روسو بأحسن حال من "بلزاك"، فلقد كان أسيرا لنزعة الشك التي طالت كل من حوله وأجبرته لأن يتحول من فيلسوف إلى طباخ لا يأكل إلا مما طبخته يداه خشية أن يدس أحدهم السم له.. وقد تمادى به الوهم إلى الدرجة التي كان يظن بأنه وحده المقصود أو المهدد بوهج البرد وزمجرة الرعد.

ولنلق نظرة خاطفة على ما كان يفعله الروائي "ديكنز" الذي كان يدخل البيوت من نوافذها ليلا لزيارة أصدقائه، ويقول عن نفسه: "إن ثلاثة

أرباعي جنون، والربع الباقي هذيان".. وذلك المسرحي النرويجي العبقري "هنريك أبسن" الذي كان يضع مرآة على قبعته ليرى صورته من حين لآخر في عشق نرجسي متطرف للذات.. ولا ينبغي أن تفوتنا حكاية الرسام "فان جوخ" الذي قطع أذنه ليقدمها إلى حبيبته برهانا على وفائه، أو الموسيقي "شومان" الذي قفز إلى نهر "الراين" وكاد أن يموت غرقا، وهو يحاول إثبات أنه يستطيع المشي على الماء.

بعد هذه الحكايات، وهي جزء يسير من حكايات كثيرة ومثيرة، لا بد أن من القراء من يحمد الله على السلامة من العبقرية، مؤثرا أن يكون "أحد ما" يعيش حياته في سكينة وسلام من أن يكون عبقريا يتهدده الجنون والفقر وألسنة الفضوليين أمثالنا.

الكيف والحرب والسياسة

بين "الكوكاكولا" و "البيبسي كولا" حرب معلنة لم استطع أن أقف تجاهها محايدا، إذ وجدت نفسي متورطا بالانحياز لـ "الكوكاكولا" في مواجهة "البيبسي كولا" متأثرا بما تتمتع به زجاجة الـ "كوكاكولا" التقليدية من جماليات تكوينية جعلت الغرب ينعتون المرأة ذات التقاطيع الجسمانية الخاصة مثل "مارلين مونرو" بزجاجة الـ "كوكاكولا".. وقد أدركت زوجتي سر هذا الإعجاب، فشنت حرب مقاطعة ضد الـ "كوكاكولا"، ولم تنته هذه المقاطعة إلا بعد ظهور المعلبات التي لا فرق معها بين أن "تببسي" أو "تكوكل" أو حتى "تقشر ميرندا"، فكله عند العرب "شربات" .. المهم أنني كنت الخاسر في معركة "الكولا" بعد أن تعصب بناتي الثلاث مع أمهم ودعوني وحدي أمثل أقلية مضطهدة داخل المنزل.

وفكرت أن أبرر هزيمتي بإعلان رغبتي في الانسحاب من حدود "الكولا" إلى عالم القهوة بأصالته وتاريخه وعبقه وعروبته، خاصة أنني أحد أبناء مدينة جدة، تلك المدينة التي كانت أول المدن التي تستقبل بن اليمن، وناضلت كثيرا في انتشار القهوة، بل وسالت دماء بعض أبنائها من أجلها عندما شكك البعض في جواز شرب القهوة ـ في الماضي ـ فكانوا يضربون رؤوس شاربيها بأواني القهوة الفخارية.

إضافة إلى هذا التعصب التاريخي للقهوة فلقد اكتشفت أن جل المثقفين

يتعاطون أكوابا كثيرة من القهوة يوميا ، ولأنني حريص على الولوج إلى عالم المثقفين -ولو من بوابة القهوة - قررت تقليدهم، ورحت أتفنن في شرب القهوة التركي التي كادت أن توقعني في ورطة حينما رحت في أحد مقاهي "أثينا" باليونان - في عز الأزمة التركية اليونانية - أنادي بأعلى صوتي على النادل بأن يحضر لي قهوة تركي، حينها انتفض النادل انتفاضة سقراطية وهو يطلب مني مغادرة المقهى، لأنهم لا يعترفون باسم القهوة التركية ويقولون أن الاسم الحقيقي لها "القهوة الإغريقية" ، وأذعنت لرغبته وطلبتها إغريقية، لكنني شربتها سرا بهويتها التركية رغم أنف ذلك النادل الإغريقي الأحمق.. وأعترف أن ذلك كان آخر فنجان قهوة أتناوله مقدما استقالتي من زمرة المثقفين، ومنضما طواعية ومع سبق الرغبة والإصرار إلى عالم البسطاء الذين يشربون الشاي في سلام بعيدا عن الإشكاليات السياسية وتعقيدات المثقفين، فالشاي يحمل شهادة براءة وحسن سيرة وسلوك تبعده عن أية شبهة سياسية أو ثقافية، وبإمكانك أن تضع ساقا على ساق من الصين إلى المكسيك وتطلب "شاي" دون أن يبحلق فيك أحدهم.. وعلى الرغم من أن كلمة "شاي" صينية الأصل إلا أنها لم تدخل القاموس السياسي إبان الحرب الباردة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، وكل ما فعله بعض الأمريكيين المناهضين للشيوعية

ومنتجاتها أن أضافوا عليه قليلا من الثلج ليصبح اسمه "الشاي المثلج"، الأمر الذي هدأ الأعصاب لينجو الشاي من دخول معترك السياسة وإلى الأبد.

الحذاء المثقوب

سقطت عينا "الإسكافي" على حذاء عمران المثقوب وهو يمده نحوه، بعد أن نسي قدمه بداخله.. استغرق الأمر من "الإسكافي" بعض الوقت قبل أن يلملم نظراته المبعثرة ليقذف بها في وجه عمران هذه المرة، رفع عمران قدمه أكثر وأكثر، وتأرجحت نظرات "الإسكافي" بين رأس عمران وقدمه، فتخيل عمران أن الرجل يمكن أن يكون "إسكافيا" و "حلاقا" في الوقت نفسه، فأحنى رأسه أمامه حتى أوشكت أن تلامس قدمه المرفوعة تاركا لـ "الإسكافي" حرية الاختيار بين رأسه وقدمه.. مسح "الإسكافي" بيده صلعة عمران، فظن أن "الإسكافي" ربما كان يبحث فيها عن ثقب مماثل لذلك الثقب الذي أصاب الحذاء.. في تلك اللحظة اندلق في دواخل عمران سؤال: ما المسافة بين الرأس والقدم؟.. راح يفرد كفه ويحسب شبرا.. شبرين.. ثلاثة.. أربعة.. يشده "الإسكافي" من حذائه فيوقف العد .. ينسلخ الحذاء من قدمه.. ربما هو الذي انسلخ من الحذاء.. يتذكر أغنية لوردة " تفرق كثير"، يرفع صوته بالغناء، فيقذفه "الإسكافي" بفردة الحذاء، يتلقفها كحارس مرمى، ويمضي في طريقه مرتديا فردة حذاء في قدمه ومحتفظا بالأخرى في يده.

مسكين ذلك "الإسكافي" لم يقدر حجم العلاقة بين عمران وبين ذلك الحذاء.. ساذج لا يدري أن ذلك الحذاء الشاهد الوحيد المتبقي على

مشاوير العمر وركض السنين!

لا يزال عمران يتذكر أن الثقب الوحيد الذي أصاب حذاءه حدث نتيجة عضة كلب مسعور عانت بعدها فردة الحذاء من أعراض المرض طويلا، ولا تزال تداهمها حالات مفاجئة فتشبع الأحذية المجاورة لها عضا وركلا ودهسا.. لكن والحق يجب أن يقال أن عضة الكلب التي أحدثت ذلك الثقب في الحذاء قد جلبت معها شيئا من الفائدة، فلقد عملت على تكييف الجو داخل الحذاء، كما أصبح بإمكان عمران أن يخرج إصبعه من ذلك الثقب كلما أراد أن يتأكد من وجود قدمه، فلقد تعود أن يطمئن على وجود أجزائه عدة مرات في اليوم منذ أن نسي صاحبه رأسه في بلد وعاد..

يتعبه المشي بفردة حذاء واحدة.. يشعر أنه قد انشطر نصفين.. بعضه يفاخر بعضه.. نصفه يحلق في الفضاء، ونصفه الآخر يتمرغ في التراب.. يخلع فردة الحذاء الوحيدة، يلقي بجسده المنهك على الأرض، وهو ي س ت س ل م لقانون الجاذبية.

النظرية بين (أحمد عدوية) و (بيترماتش) !!

يقال إن لكل إنسان حدودا ومياها إقليمية – مثل الدول لا ينبغي أن يقتحمها الآخرون إلا بإذنه، وأبعاد هذه الحدود ليست منتظمة فهي تمتد من نصف متر إلى حوالي أربعة أمتار، فنحن نسمح للذين نحبهم فقط أن يقتربوا إلى ((الدائرة الحميمية)) التى لا تبعد أكثر من نصف متر، تليها الدائرة الثانية التي تضم الأصدقاء والمعارف القريبين وهي تبعد حوالي متر وربع، أما((الدائرة الثالثة)) التى يصل مداها إلى أربعة أمتار فهي منطقة يسمح بالدخول إليها لكل الناس الذين نلتقى بهم فى شوارع العمر من غير الأحباب والأصدقاء!!.. ذلك مايقوله أحد علماء النفس من خلال إحدى دراساته!!

فإذا كان ما يقوله هذا العالم صحيحا فإن هذا يعني أن مياهنا الإقليمية ((الشخصية)) منتهكة إلى حد الإزعاج، فهذا أنا أعاني من زكام يوشك أن يكون مستديما بسبب اقتحام أحدهم لحدودى الإقليمية في عناق حار في الوقت الذى لا تختلف علاقتي به عن العلاقة التى تربط بين ((كوريا)) و((كوريا))، ولك أن تتصور أولئك الذين يصرون أن يتحدثوا إليك وهم في أقصى حالات الاقتراب مع أنك تحاول أن تؤكد لهم أنك ليس بشار بن برد الذى يعشق بالأذن ((أحيانا)) لأنه مكفوف، ولست ((بيتهوفن)) الذى يطرب باللمس ((دائما)) لأنه أصم، كما أنك لا تعانى من أية صعوبات صحية في أنفك بدليل أنك تنعم بشم مختلف

روائح الأشخاص الذين ينتهكون حدودك الإقليمية الذاتية يوميا، خاصة أولئك الذين يعانون من انقطاع المياه في منازلهم!

وإذا كان العلم ينسب هذه النظرية إلى البروفيسور ((بيترماتش)) أستاذ علم النفس بجامعة((كمبريدج)) ، فأنا اعتقد أن حقوق هذه النظرية تعود إلى المطرب الشعبي((أحمد عدوية)) فله حق السبق العلمي على الخواجا ((بيترماتش))، فلقد ظل عدوية على مدى سنوات طويلة يعاني من انتهاك مياهه الإقليمية الشخصية وينادي بأعلى صوته: ((زحمة يادنيا زحمة))! دون أن نتنبه إليه حتى جاء الخواجة بيترماتش وصدقناه، وبدأ كل واحد منا يتأهب لحماية مياهه الإقليمية، ولكن..كيف؟..لاأحد يدرى!..ففى الزمن الرمادي قد اختلط كل شيء.. وأصبحت حرية المرور في مياهك الإقليمية حقا مشاعا للأصدقاء والأعداء على حد سواء!

الطماطم والسياسة !!

لست أدري لماذا اقترنت الطماطم أو (البندورة) بكل الحروب والصراعات السياسية التي تقام على هذا الكوكب، حتى أنك في كل الأزمات يمكن أن تفتش عن الطماطم لتجدها حاضرة على الدوام، فإبان الحرب الأهلية في لبنان كان يمكن للإنسان أن يفقد حياته ثمنا لـ (البندورة)، فعلى الحواجز كان يفرز الفلسطيني عن اللبناني من خلال نطقه كلمة (بندورة)، فاللبناني ينطق كلمة بندورة بفتح النون، أما الفلسطيني فينطقها بتسكين النون، وفي مناطق التماس كان الموت ينتظر من يسكّن النون في حاجز، أو يفتح النون في حاجز آخر !!

والإنجليز إذا غضبوا من ساستهم إبان الحروب، يمكن أن يستهلكوا محصول الموسم الزراعي من الطماطم، حينما يستخدمونها كقذائف يوجهها المتظاهرون صوب القادة السياسيين.

وتتخوف المغرب كل عام من نشوب حرب طماطم بينها وبين أسبانيا بعد أن تعوّد الفلاحون الاسبان محاصرة الصادرات المغربية من الطماطم في ميناء الجزيرة الخضراء جنوب أسبانيا من أجل إتلافها كي لا تنافس الطماطم الأسبانية في دول الاتحاد الأوروبي، كما تخوف بعض المصريين من حرب الطماطم التي قادتها إسرائيل ضد الطماطم المصرية، بعد أن لاحظوا محاولات الترويج لسلالات من الطماطم الإسرائيلية المعروفة باسماء ريتا ودينا ونعمة في بعض مزارعهم.

وفي الصراع بين العلماء الإنجليز والأمريكان يقول الإنجليز: (تفاحة كل يوم تغني عن الطبيب) فيتعصب الأمريكيون للطماطم، ويؤكدون أن الأصح أن تستبدل التفاحة بحبة طماطم كل يوم، فمادة الـ (ليكوبين) في الطماطم تلعب دورا حيويا في الوقاية من الاصابة بسرطان البروستاتا.

وقد كنت طوال عمري استغرب من إطلاق اسم المجنونة على الطماطم، وظننت أن الأمر يتعلق فقط بجنون الأسعار، قبل أن أتأكد من أن استحقاقها لهذا اللقب إنما جاء من حشر الطماطم لنفسها في كل ساحات الجنون البشري في عالمنا!!

ولست أدري من يتحمل هذه المسؤولية الناس أم الطماطم؟! أم (الناس الطماطم) ؟!

« الكديسة »

ما زلت أتذكر ذلك اليوم البعيد الذي أتاني فيه رفيق طفولتي سعيد غراب الذي غدا بعد ذلك أهم لاعب كرة قدم في تاريخ السعودية ليبلغني أن علينا الذهاب للتسجيل في النادي الأهلي..

ـ ولماذا الأهلي يا سعيد؟

نظر إلي في فرح ، وهو يقول:

ـ الأهلي يوزع "كدايس"

يا خبر.. كدايس دفعة واحدة!!.. ولمن لا يعرف "الكديسة" نقول إنها الاسم الذي كان يطلق على الحذاء الرياضي آنذاك، وأخرجت دراجتي الهوائية من مخبئها، وكان علي أن أردف "الغراب" خلفي من حي الهنداوية في جنوب جدة إلى حي الشرفية في شمال المدينة، وعلى تلك الدراجة المتهالكة أن تصمد في مواجهة الريح والزوابع والمرتفعات ووزن "الغراب" الذي كان لا يقل وزنه آنذاك عن عشرين "أقة" حسب مقاييس ذلك الزمان.

وفي ملعب النادي الأهلي كان مجموعة من اللاعبين الصغار قد تجمعوا حول سيارة مرسيدس حمراء تضم في خزانها الخلفي عشرات "الكدايس"، ويقف بجوارها المدرب عبد الله غمري، ومدرب سوداني لقبه "أبو هيود"، وعلى كل من رغب في الحصول على "كديسة" أن يخط اسمه في أحد كشوف التسجيل بالنادي ليختار بعد ذلك

"الكديسة" التي على مقاس قدمه، ولم يجد "الغراب" صعوبة في الحصول على "كديسة" بمقاس قدمه، وكذلك البقية باستثناء محسوبكم.. وقد نفد صبر المدرب "أبو هيود" من كثرة ما جربت من "الكدايس" فصاح بلهجته السودانية المحببة:

- يا زول هذا كراع والا مقدم جمل!

وتملكني حزن شديد، بل وخيبة أمل وأنا أرى الكل يزهون بـ "كدائسهم" إلا أنا الذي بقيت في الملعب امتطي قدمي، ولعل "أبو هيود" قد أشفق على حالي فأقنع زميله الغمري بأنني يمكن أن انضم إلى الأشبال ولو تكملة عدد، فحرر ورقة صغيرة إلى أشهر صانع "كدائس" سوداني في البلد اسمه "أبو اللول" كتب فيها:

- أخي أبو اللول يصلكم من طرفنا الزول دياب فصلوا لوووه كديسة بثلاثين قاحوشا على حساب ناس الأهلي.. مع تحيات أخوك أبو هيود".

والقاحوش في اللغة الحلمنتيشية يعني ريالا.. وما أن قبضت هذه الورقة حتى غدوت في موقع الحسد من كل الزملاء، فأبو اللول لا يصنع إلا "كدايس" كبار اللاعبين، أما الصغار فيكتفون بأن يستوردوا لهم من مصر "كدايس" مدببة إذا ما غرست في رملة الملعب فإن لابسها يحتاج إلى الاستعانة بزملائه من اللاعبين لدفعه إلى الأمام

والخلف من أجل خلخلة التراب، وقد تخرج قدمه بلا "كديسة"، وقد تخرج "الكديسة" بلا قدم.. المهم أنني بت ليلتي تلك أشهر لاعب كرة قدم في مدينة جدة بعد أن طفت بورقتي تلك على كل أحياء المدينة قبل أن أسلمها إلى أبو اللول.

لكن العيب الذي اكتشفته بعد ذلك لم يكن في "الكديسة" ولكن في القدم، فكنت أثناء التمارين أحاول أن أهدف على المرمى فتذهب الكرة قسرا بعيدا عن غايتها لتصيب زجاجات "الكوكاكولا" التي كان يرصها صاحب "الكشك" القريب من الملعب في انتظار بيعها على اللاعبين.. وتناوب على تدريبي أكثر من مدرب: الغمري، أبو هيود، أحمد اليافعي، وأحمد عبدالله ـ والد النجم الكروي ماجد عبد الله ـ ولكن دون جدوى، فلقد كانت تصويباتي مبرمجة على زجاجات "الكوكاكولا".

وأظن ـ وليس كل الظن إثم ـ أن ثمة مؤامرة قد اشترك فيها كل البائعين المتجولين في الملعب بقيادة بائع "الكوكاكولا" لإفشال طموحاتي الكروية، فكان أقصى منصب وصلت إليه في مباريات الفريق لا يتجاوز الجلوس على دكة الاحتياط على أمل أن يصاب أحد اللاعبين، وكان مثل هذا الأمر نادر الحدوث، فلاعبو زمان كانوا من الفولاذ، فليس ثمة أمل في إصابة أحدهم، وكان على اللاعب الاحتياطي أن يتخذ الله خلفا وعوضا.. وقد طال مكوثي في هذه المهمة طويلا حتى كرهت

الكرة، ولكنني ظللت احتفظ بـ "الكديسة" كذكرى عزيزة غالية، وقد ازداد قلقي عليها حينما تسربت شائعة بأن النادي سيطالب اللاعبين المنقطعين بإعادة "الكدايس" فسارعت بإخفاء "كديستي" في صندوق جدتي "السيسم" جنبا إلى جنب مع كل عزيز وغال تمتلكه الأسرة، وإن كنت لا أظن أن شيئا من ذلك كنا نمتلك.

المهم ما علينا من حكايات الأمس ونحن أبناء اليوم، فلقد دخلت الكرة الآن عصرها الذهبي وأصبح اللاعبون يباعون ويشترون بالملايين، وعليه فقد قررت إخراج "كديستي "لأضعها في مزاد علني للبيع، خاصة بعد أن علمت أن "كدايس" المشاهير تباع بوزنها ذهبا، و"كديستي" لها تاريخها وخصوصيتها من عدة جوانب، أولها: أن صانعها أبو اللول، ومن أين نأتي الآن بمثل مهارة أبو اللول أو "حربي" أو "الفلو" وهم أشهر صناع الكدايس في ذلك الزمان!.. وثانيها: أنني قد أعرت "كديستي" للغراب ذات مرة بعد أن حشونا نصفها قطنا فسجل بها في مرمى فريق "الله جابه" خمسة أهداف، وقد كان جميع أفراد ذلك الفريق يلعبون الكرة حفاة الأقدام كساة الرؤوس، فكانت "كديستي" هي العامل الحاسم في نتيجة تلك المباراة وليس قدم الغراب، إذ كان اللابس الوحيد وسط الحفاة.. وثالثها أنها "كديسة" إنسان أضاع من عمره ربع قرن متوهما أنه لاعب كرة ولم يحصل منها سوى قبض الريح، مع أنني

استهلكت في رحلتي مع الكرة ثلاث دراجات، اثنتان منها ماركة "لاري" والثالثة من نوع "فيلبس".

فإن أتت "الكديسة" أثناء عرضها بـ "أرنب" على حد تعبير إخواننا المصريين فالخير وأهله، وإلا فإنني سأتقدم بطلب تعويض رسمي إلى الرئاسة العامة لرعاية الشباب أطلب فيه مقابل الربع قرن الذي أهدرته بسبب الكرة، وما سببته لي الكرة من خسائر مادية ومعنوية ما زلت أعاني من آثارها في كل مرة أقرأ أو أسمع فيها عن الملايين التي يباع ويشترى بها اللاعبون، في الوقت الذي تحولت فيه أنا إلى "بائع كلام متجول" لا يزال يعلق عليه البعض باستخفاف بأنه "كلام جرايد"!

الكنز

تثيرني الأخبار الصحافية التي تتحدث عن الكنوز الذهبية المكتشفة والتي كان آخرها العثور على جرة تحتوي على قطع ذهبية تعود إلى العصر الأموي في قرية "العاكولة" بشمال سوريا.. وليس خافيا لدي الباعث ذلك الاهتمام، فعلاقتي بالذهب - أجل معدن في الوجود - علاقة قديمة مملوءة بالإحباط والخذلان، ولذلك حكاية عتيقة سأرويها لكم:

في بداية عقد الستينات الميلادية من القرن الماضي قامت بلدية جدة بإزالة أحد المباني المعمرة، ثم نقلت الأنقاض إلى شاطئ "بحيرة الأربعين"، ليكتشف الناس أن داخل تلك الأنقاض كنزا ثمينا من الجنيهات والحلي والسبائك الذهبية، الأمر الذي حول شاطئ البحر إلى مأمل لكل الطامحين والطامعين إلى الثراء، وقد كنت في مقدمة هؤلاء الباحثين بعد أن منحت نفسي إجازة من المدرسة، مقارنا بين العلم والذهب، مقنعا نفسي بأن العلم ملحوق، أما الذهب فمفقود، فكنت أخوض مع الخائضين في مياه بحيرة الأربعين الطينية من صباح العالمين حتى ليل المتعبين، أمخر التراب بأصابعي، وكانت صيحات الفرح تتعالى حولي من كل مكان في كل مرة يعثر فيها أحد الباحثين على قطعة من الذهب/ أما أنا فلم أجن من تلك "البهدلة" سوى قبض الريح وعلقتين ساخنتين من أبي ثم من مدير المدرسة.

ورغم مرور سنوات على تلك الذكرى الأليمة، إلا أنني لا أزال أحمل

صاحب ذلك الكنز ـ رحمه الله ـ مسؤولية ما حصل لي من كبت وعقد دفينة.. فلست أدري حتى الآن لماذا أصر ذلك الرجل على أن يفعل بي مثل هذا "المقلب" الصعب؟.. ألم يكن بمقدوره أن يخبئ كنزه بعيدا عن تلك الطريق التي كنت ارتادها ذهابا وإيابا كل يوم إلى الدرجة التي توهمت أن لي الحق في تركة ذلك الرجل وكنزه الذي تبعثر في جيوب كل من هب ودب إلا جيبي.. واليوم أشعر أن ذلك الرجل قد فعل ما فعل عامدا متعمدا مع سبق الإصرار والترصد، فلقد أراد أن يشتري لنفسه مقعدا في ذاكرة هذه المدينة وقد فعل، حتى أن واحدا من أهم شوارع هذه المدينة أصبح يحمل اسم "شارع الذهب" تخليدا لذكرى ذلك الرجل المجهول عفا الله عنه.

النوم على وسادة التاريخ

لدي عقدة مزمنة مع التقويم، فأنا أنسى الأجندة أحيانا على مكتبي متوقفة عند اليوم الأول من العام، في الوقت الذي يكون فيه العام قد أوشك على الانتهاء.. وباعتباري من الموظفين في الأرض "سابقا" فقد كان هذا الموضوع يسبب لي قدرا من الحرج مع المراجعين والمفتشين والفضوليين، وبصورة خاصة مع زميل لي رافقني مرحلة طويلة من حياتي الوظيفية، وهو سندي في مواجهة عقدة التقويم، فأنا اعتمد عليه في السؤال عن تاريخ اليوم في كل مرة اضطر فيها إلى توقيع معاملة، وهو يجدها فرصة للانتقام مني باستغلال نقطة ضعفي إلى أقصى مدى، كأن يقول لي اليوم هو السابع من الشهر، فأسأله: أي شهر؟ فيجيب ونصف ابتسامة خبيثة على شفتيه: الشهر الرابع، وتصل مصيبتي إلى ذروتها حينما اضطر لأن أساله: وأي عام!!

وقد حاولت أن استفيد من تخصصي في علم النفس لمعرفة أسباب عقدتي مع التاريخ، وبعد طول بحث وتفكير اكتشفت عاملا ربما كان له صلة بهذه العقدة المزمنة، فأنا من مواليد أحد الأحياء البسيطة التي لم يسبق لها شرف التعرف على التاريخ أو الالتقاء به، فكبرياء التاريخ كان ولا يزال يمنعه من التسكع في الأزقة والحواري، وبناء عليه وجدت نفسي آتي إلى الدنيا بلا شهادة ميلاد.. أمي تقول: أنني أكبر من ولد الجيران بعام، أصغر من بنت الجيران بعام، لكن لا ولد

الجيران يعرف تاريخ مولده ولا بنت الجيران!

ولعل الذي خفف من عقدتي مع التاريخ اكتشافي مؤخرا أنه لا يوجد تقويم واحد، بل هناك أكثر من تقويم، وبينهم من الاختلافات مثل ما بين "كوريا" و "كوريا"، فهناك ما يسمى بالتقويم المصري القديم الذي يحذف ربع يوم كل عام، ليتحول الفرق مع مرور الأزمان إلى عدة شهور أو سنين، وهناك التقويم "اليوليوسي" الذي يختلس من كل عام ١١ دقيقة و ١٤ ثانية نهارا جهارا ودون وجه حق، وثمة تقويم ثالث ورابع وخامس وصولا إلى التقويم "الغريغوري" الذي جاء بموضة السنة "الكبيسة" في محاولة لحل بعض الإشكاليات.. أريد أن أشير إلى أن حشر أنف التاريخ في أعمار الناس وأعمالهم يفتقر إلى الدقة، وبالتالي من حق كل شخص أن ينام على وسادة "التاريخ" الذي يريحه.

وكما يقولون: "رب ضارة نافعة" فلقد دفعني أمر جهلي بتاريخ مولدي إلى اكتشاف "العمر المطاطي" الذي يعتمد على الظروف ، حيث يمكن للمرء أن ينقص من عمره المفترض ما يشاء من السنوات إذا ما كان الحديث عن الشباب وأهميته، وأن يمط حبل العمر إلى زمن "أبينا آدم" إذا ما أحس بسيادة مبدأ "أكبر منك بيوم أعرف منك بسنة" .. ومما يؤكد انتشار ظاهرة العمر المطاطي في حياتنا الاجتماعية أن العالم كله يجمع أن أكبر المسنين في العالم عمره في حدود ١٢٠ سنة، بينما

لو قدر لباحث أن يزور أية قرية أو مدينة في بلادنا لوجد طابورا ممن يتوهمون أنهم قد تجاوزا ذلك العمر، والسبب أن جميعهم "أكبر من ولد الجيران بعام، أصغر من بنت الجيران بعام"!

عيون « الجحشة »

أجزم أن غريزة الجوع لدى الرجال تسبق كل غرائزهم الأخرى حتى أنهم يحرفون اسماء حبيباتهم لتتوافق مع اسماء الأكلات التي يحبونها مثل زبدة وقشطة ومهلبية من باب فتح الشهية فقط.. ولم يسلم من هذه الإشكالية حتى الفنان سلفادور دالي، فلقد كان يحب "الكستليتة" لذا كثيرا ما اضطر أن يرسمها على كتفي زوجته ليسهل عملية ابتلاعها.

ولي صديق "صيرفي" أغاظه التدني في مستوى الغزل العربي فقرر أن يطور هذا الغزل مطلقا على زوجاته اسماء العملات التي يتداولها، لكن المشكلة بدأت تظهر أثناء الانهيارات التي تتعرض لها بعض العملات وتقلبات صعودها وهبوطها وتأثيراتها النفسية عليه طبقا لظروف الكسب والخسارة.. وعلى ذمة الرواة توشك أن تكون العلاقة مقطوعة مع اثنتين من زوجاته استنادا إلى أحوال السوق.

والسؤال الجاد هنا: كيف نخترع قاموسا غزليا جديدا لا يشتق مفرداته من أجواء المطابخ وتقلبات العملات، ودون أن يمر أيضا بحدائق الحيوان فلا غزالة ولا زرافة ولا فيلة؟!.. خاصة أن هذه التشبيهات التقليدية قد أوقعت أحد الأخوان من إحدى دول شمال إفريقيا في ورطة مع إحدى الفتيات المشرقيات حينما وصف عينيها بعيني "الجحشة"، فانتفضت الفتاة لكرامتها التي أهدرها ذلك الرجل الذي حاول عبثا أن يقنعها بجماليات عيون "الجحشة" ليتطور الأمر إلى البحث في كل

دروب المدينة عن "جحشة" ليثبت لها أن عيون ـ الجحشة ـ أجمل ألف مرة من عيون المها و "بيرجيت باردو".. وبعد لف ودوران عثر على "جحشة" ليكسب الرجل الرهان، فلقد كانت "الجحشة" مكحلة العينين، ناعسة الجفنين.. وكل مشكلتها أنها تنتمي إلى فصيلة الحمير المضهدة من الإنسان على مر التاريخ.

ومن الآن وحتى اختراع قاموس غزلي جديد علينا ـ معشر الرجال ـ أن نكف عن مثل هذه التشبيهات وأن نسمي من نحب بمسمياتهن، فالمرأة العصرية لا بد وأنها ترفض أن نختار تشبيها لها من حلقة الخضروات أو سوق السمك أو حتى من حديقة الأنعام الجميلة.. فهي تشجب حتى قاموس الزهور مثل وردة وفلة ونرجس وياسمين لأنها على ثقة بأنها أجمل من كل زهور الدنيا وأعطر من كل رياحينها.

ذكريات مغفل

كثيرة هي حكايات المغفلين الذين يقعون في شراك المخادعين، فيشترون القطار أو "العتبة الخضراء" أو محطات التحلية ممن لا يمتلكونها.. لكننا أحيانا نرتدي ثياب المغفلين باختيارنا كما حصل لي عندما اشتريت قطعة "أرض" على القمر بدولار أمريكي واحد، وحصلت على صك لها عليه ختم المؤسسة البائعة وموقع القطعة على المخطط القمري.. والذي يشفع لي في ذلك أنني لم أكن يومها المغفل الوحيد الذي يشتري قطعة على القمر، فلقد شاركني في ذلك عدد كبير من طلاب الجامعة التي كنت أدرس بها في أمريكا.. وقد كانت أمريكا آنذاك لا تزال تجتر نشوة صعودها إلى القمر، وقد تفتق ذهن أحد الأمريكان "البلطجية" عن مشروع استطاع أن يحقق من خلاله عائدا ماليا محترما، فقام بطباعة عدد كبير من الصكوك القمرية، وجاء بها إلى الحرم الجامعي عارضا تلك الصكوك المختومة للبيع، فتهافت الطلاب على شرائها من باب الطرافة والغرابة والذكرى..

واليوم وبعد سنوات طويلة استعيد حياتي في أمريكا ولا أكاد أتذكر من الدولارات التي أنفقتها هناك سوى ذلك الدرلار الذي لا يزال يذكرني به صك طويل عريض، ووهم جميل عذب بأن تكون لك قطعة على القمر يمكنك أن تجلس عليها وتمد لسانك لأهل الأرض المسكونين بالجشع في تهافتهم على امتلاك أكبر حفنات من التراب.

راديو المرحوم!

كان أبي ـ يرحمه الله ـ أميا، شكل ثقافة سمعية من كثرة الارتباط بالمذياع يوم كان المذياع مذياعا!!.. وبرغم أميته فلقد كانت له طريقته في تقويم الأخبار والإذاعات، فهو لا يثق سوى فى إذاعة واحدة فقط، وأية أخبار تصدر عن عداها فهي فى نظره مغلوطة، مدسوسة ومغرضة..

وحينما كبرت وعملت في الصحافة لم يسر ذلك أبي، وكان يجيب عن كل من يسأله عن عملي، بأننى "بياع كلام"، وأن ما أكتبه وأقوله مجرد "كلام جرايد" لا يرتقى إلى مصداقية ما يسمعه من أخبار فى إذاعته المفضلة.. وقد ظل حتى آخر حياته متمسكا بموقفه هذا إلى درجة أننا لم نعثر عند وفاته على شي أغلى من ذلك المذياع، لكن الإشكالية أننا لم نستطع تقسيمه على عدد الورثة الأربعة. لذا فقد اتفقنا أن يستضيف كل واحد منا ذلك المذياع لمدة شهر مع ضرورة احترام المرجعية التاريخية لذلك المذياع، بحيث لا نستمع منه إلا لتلك الإذاعة فقط.. ومن المصادفات المدهشة أن هذا المذياع لا يبث حتى اليوم سوى أغاني محمد عبدالمطلب وصالح عبد الحي وعبده الحامولى وسيد درويش وكأن المسؤولين فى الإذاعة يتوقعون أن أبي لا يزال بجوار المذياع، أو لعل المذياع ذاته تحت وطأة الأشباح والأرواح قد غدا يجتر ذكرياته القديمة، فضلا عن أن ذلك المذياع قد تعطلت مفاتيح

تشغيلة وإغلاقه فأصبح حرا طليقا ينطلق متى يشاء ويصمت متى أراد، لكنه في الغالب لدية حساسية معينة لإثبات وجوده فما أن يقترب منه أحد حتى ينطلق بصورة مفاجئة صوت عبد المطلب:

((ساكن في حي السيدة
وحبيبي ساكن في الحسين
وعشان أنول كل الرضا
يوماتي أروح له مرتين))

وهذه الخاصية جعلتنا نستخدمه كجهاز أمن إذا ماسافرنا وخلا البيت من سكانه وضعناه خلف الباب ليس لإرهاب اللصوص من اقتحام المنزل بحجة وجود أحد في المنزل، ولكن من أجل تقديم وجبة من الطرب الأصيل كعزاء محتمل للصوص مغفلين ربما ضلوا العنوان، فاختاروا من بين كل خلق الله منزل رجل لم يستمع إلى نصيحة والده، فأصر أن يقضي العمر "بياع كلام" رأسماله كومة من ورق الجرائد!!

شفاء النفوس في سوق (التيوس) !!

تنشر الصحف بين حين وآخر أخبار (التيوس) والماعز، حيث وصل سعر أحد (التيوس) ـ وفقا لأحد الأخبار ـ إلى مائتين وخمسين ألف ريال، لذا فإن من حق (التيوس) أن تحظى باحتفالات عرض يحضرها الهواة من كل دول الخليج.. وقد ذكرتني تلك الأخبار بالموظف (الكبير) الذي التقيته ذات يوم يبحث عن قطعة أرض يستثمرها في إنتاج (التيوس)، موردا حكمة لعلها من اختراعه تقول: (مكسب في التيوس ولا تعب النفوس) !

وبعد مضي نحو سنة التقيت به مجددا، يوقف سيارته (الوانيت) في إحدى (البرحات)، كان عقاله يضحك، ولربما عقله أيضا، تفوح من ثيابه رائحة الحظيرة، لكن جيبه المنتفخ يعكس مقدرته على شراء متجر عطور بأكمله.. ودار يومها حوار ممل بين اثنين أحدهما يتوكأ على قلمه والآخر على غنمه، وذهبت أو ذهب الرجل، لكن فكرة (التيوس) لم تذهب، فلقد ظلت تشغلني، فبين حين وآخر أجد نفسي أحلم أحلام يقظة كل أبطالها من (التيوس)، وهذا أنا افكر الآن في إنشاء شركة مساهمة يكون جميع أعضائها من الصحافيين والأدباء والكتاب لإنتاج الماعز والتيوس، فلقد أضعنا العمر كورَاقين نعيش على الورق، ونتعامل مع الورق، وحياتنا ورق في ورق، فأدركتنا ـ كما يقول العرب ـ حرفة الأدب المسكونة بالمعاناة، فتلك الحرفة هي التي جننت

(موباسان)، كما جعلت (برنارد شو) يقضي تسعة أعوام من حياته ببذلة كالحة وحزام ممزق.. وهي نفس الحرفة التي جعلت (مكسيم غوركي) يرتدي سروالا مصنوعا من كيس الطحين، يعمل حمالا حينا وحينا حفارا للقبور!!

وهذه الشركة يمكن أن تكون الخيار الأفضل للفرار بجلودنا وجلود (تيوسنا) من هذه المهنة.. وبدلا من تعب النفوس، علينا بسوق (التيوس)!!

شهامة الأطباء

لى قريب يعمل طبيبا فى أحد المستشفيات، وهو على درجة كبيرة من الشهامة والنبل وصلة الرحم إلى الدرجة التى لا يلتقي فيها مع أحدنا إلا ويدعوه لزيارته فى المستشفى لإجراء فحص شامل له، حيث يتمنى أن تكون العائلة جميعها بخير وبصحة جيدة وعلى أحسن ما يرام. ويبدو أن فحوصاته على درجة كبيرة من الدقة بحيث لا يسلم من يلبي دعوته إلى المستشفى من أن يكتشف له مرضا أو اثنين يكفي أحدهما على الأقل لأن يجعله يقضى بقية أيامه فى إنتظار الموت، وأستطيع أن أجزم أن جل الذين ماتوا من أقاربنا كان له وحده فضل اكتشاف أمراضهم قبل الموت بعام أو عامين!

ومن كثرة ما سببه لنا هذا القريب الطبيب من أحزان تسبق الموت بسنوات فلقد قررت الأسرة الامتناع عن تلبية دعواته الطبية، مؤثرة أن تقضي ما تبقى لها من عمرها فى امان وطمأنينة ودعة حتى يداهمها الموت.

ولنا صديق صحافي ينتظم منذ سنوات فى دورية أسبوعية جميع أعضائها من الأطباء وفى مختلف التخصصات، وقد قادتنى قدماى ذات يوم لمرافقته والتعرف عليهم:هذا طبيب أعصاب، وذاك طبيب نفسي، والثالث أخصائي قلب والرابع حنجرة والخامس عظام، لكن

المهم أن العاشر كان طبيب نساء وولادة وهو الشخص الوحيد الذى ارتحت للبقاء بجواره محاولا بين لحظة وأخرى أن أفرك شاربى لإشعاره بأننى خارج دائرة تخصصه، خشية أن تداهمه نزعة فحص مفاجئة ربما يتوصل خلالها إلى اكتشاف خلل هرمونى أو عضوي مستتر يستدعى مني تغيير هويتي الجنسية في زمن كثرت فيه التبدلات بفضل الأطباء وتحول عدد من أصحاب الشوارب إلى ربات بيوت..وتبدلت بعض الفتيات إلى فتوات!

فإذا كان في أسرتك طبيب شهم فتلك مصيبة، أما إذا كان في الأسرة أكثر من طبيب فالمصيبة أعظم، ولك الله.. ومعذرة أحبابنا الأطباء دعونا نضحك معكم– لاعليكم– فى فترات الصحة.. فنحن ندرك أن الضحكة الأخيرة حكر لكم على الدوام.

قمة الفئران «النيويوركية» وقطط العالم الثالث

على ذمة وكالة الأنباء الفرنسية أن فئران مدينة "نيويورك" تأكل القطط الشاردة والكلاب الصغيرة!.. وقد كنت أعرف أن في "نيويورك" يمكن أن ينقلب كل شيء رأسا على عقب، إلا أنني لم أكن أظنها تصل إلى حد أن تأكل الفئران القطط، فلقد ظللت طوال عمري أتوهم أن مهمة القطط الوحيدة في هذه الحياة هي قتل الفئران.

ويذكر أن مؤتمرا عقد في "نيويورك" أطلقوا عليه "قمة الفئران" ضم ٢٥٠ أكاديميا ومسؤولا صحيا لبحث كيفية التخلص من الفئران التي يظن هؤلاء أنها العدو الأول لسكان هذه المدينة.

وعلى ذمة أحد الضالعين في شؤون كل ما هب ودب من غير العقلاء أن سبب تفاقم خطورة الفئران هناك يكمن في تدليل الأمريكيين لقططهم التي ألفت الترف والنعومة والدعة إلى الدرجة التي أفقدتها وقارها وأغرت الفئران على احتقارها واستباحة لحومها..

وخوف النيويوركيين" من الفئران قد أسال لعاب بعض المستثمرين في العالم الثالث، فقرر البعض دراسة إمكانية تصدير قطط عربية وهندية وأفريقية وسيامية للتعامل مع الفئران "النيويوركية" بشرط أن لا يتدخل الأمريكان في إفسادها بالتدليل والأطعمة المعلبة، وأن يدعوها وحالها تسرح وتمرح في شوارع المدينة إذا ما هوّد الليل واستباحت المدينة الفئران.

وقد أثبتت دراسة الجدوى نجاح مثل هذه المشاريع، فمدينة "نيويورك" اليوم محتلة بنحو ثمانية ملايين فأر، أي أن عدد الفئران سيتضاعف مرات ومرات مقارنة بعدد السكان، إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الفار يتزاوج وعمره شهران، ويلد من خمس إلى ثماني مرات في العام، في الوقت الذي تداهم فيه العنوسة والعقم والضعف الجنسي ملايين "النيويوركيين".. أي أن إشكالية الفئران في "نيويورك" ستتفاقم وتصبح الحاجة إلى قطط العالم الثالث ضرورة ملحة..

فإذا كان في حياتك قطة ـ عزيزي القارئ ـ فلا تدع الفرصة تفوتك للاستثمار العالمي ولو في سوق القطط.

ليس كل أصلع « قيصرا »

يروى أن القائد الشهير "يوليوس قيصر" الذي حقق أكبر الانتصارات قد وجد في إكليل الغار الذي منحه إياه شعبه في إحدى المناسبات، وسيلة لإخفاء صلعته، فلم يخلعه حتى الموت.. لكن مشكلتنا ـ نحن الصلع المعاصرين ـ أننا لم نستطع العثور على إكليل لكل أصلع، فليس كل أصلع قيصرا، وليس كل انتصار يأتي بإكليل.. لكن على ذمة أحد الأطباء يقال إن زرع الشعرة الواحدة في بلادنا يكلف عشرة ريالات، ومن حق الأصلع أن يسترجع ما دفعه في حالة عدم الحصول على النتيجة المرضية.

وقد فكرت في القيام بعملية زراعة لولا أنني اكتشفت أن صلعة مثل صلعتي تحتاج تغطيتها إلى دعم من كل الجمعيات التعاونية.. وحتى لو افترضنا حصولي على مثل هذا الدعم فمن يضمن أن الطبيب قد زرع كل الشعرات المتفق عليها، فلو قدر أن ثمة خلافا قد نشأ بيني وبينه حول هذه المسألة فكيف يمكن أن نتأكد من نزاهة الطبيب؟!.. هل سنلجأ إلى إحصاء عدد الشعرات؟ وكيف؟.. فأنا لا أستطيع أن أتصور أن يجتمع على فروة رأسي ثلاثة أو أربعة أشخاص بينهم محاسب قانوني وقد حمل أحدهم آلة حاسبة وارتدى آخر عدسة مكبرة.. وهات يا عد وذلك لحسم الخلاف.

"دوشة"..أليس كذلك؟!

مدينة.. في ضباب الذاكرة !

كان البحر يلتهم قرص الشمس، حينما تأهبت أجسادنا الممدودة الأعناق، تراقب حركة المراكب الصغيرة، التي تنشر أشرعتها للسفر، وكانت النوارس الآيبة على موسقة الشفق تجدل جدة امرأة تبحر في دمي حتى آخر الجنون..

أبحث فيها عن صرخة دوت في بيت عتيق، أطلت رواشنه على زقاق صغير، اعتاد أن تعبره تراتيل الذاهبين إلى المسجد في الفجر، وأناشيد العائدين من البحر في المساء.

أبحث عن شجرة "نيم" وحيدة ألفت أن تحاورنا صغارا ونحن نغني لها:

" يا شجرة ميلي

كيف أميل؟

ميلى على جنبك اليمين"

فكانت الشجرة الوارفة تميل دلالا فترقص الظلال وينتشي الأطفال !!

في جدة العتيقة سلم نفسك للدروب حينما تتحول إلى مطايا تقودك إلى طرقات عمرك المغروس في كل الأماكن.. تمر بك بـ "العيدروس" فتوشك أن تنصت لصوت "السمسمية" يأتيك من أعياد بعيدة، وأنت تستمع لعزف الحبال المشدودة في المراجيح المحلقة..

قد تعبر بك سوق "الندى" و"الخاسكية" و"باب مكة" فتنبت في ضباب

الذاكرة نداءات الباعة ورائحة التاريخ وعطر الزمن..

وقد تعرِّج بك على مقاهي الحارات فيهب على البال دور من موشحات "الصهبة" أو "زومال" من "المزمار"..

ومع هذا لا تحزن يا صديقي إن انسلت جدة العتيقة التي تحبها من بين يديك كشعاع ضوء، فلقد تركها الجميع في موسم الهجرة إلى الشمال، ولم يتبق لنا سوى الاحتفاظ بها في الذاكرة.. ففي الذاكرة وحدها لا تتحول الأشياء التي نحبها إلى أطلال.

مشاكسات

ثمة حكم ونظريات وأقوال مأثورة في حياتنا، تعودنا أن نتعامل معها بشيء من القبول والتسليم، لست أدري لماذا أشعر اليوم برغبة في التمرد عليها، أو بعبارة أكثر دقة مشاكستها قليلا، فلربما لتلك الأقوال وجهها الآخر..

ـ "عصفور في اليد ولا عشرة في الشجرة".

أنا مع القلة التي ترى العصفور على الشجرة نجمة مغردة، بينما هو في القفص مجرد طائر أسير تحول شدوه إلى نواح.

ـ "صنعة في اليد أمان من الفقر".

ليت قائل هذه العبارة حي ليثأر منه العاطلون عن العمل أصحاب السبع صنايع والحظ الضايع.

ـ "الخط المستقيم أقصر طريق بين نقطتين".

أعرف صديقا لي سار وفق هذه النظرية فوجد نفسه قد عاد من حيث بدأ، مسكين لقد نسي أن الأرض كروية، من يومها وهو يراهن على نظرية "اللف والدوران" بأنها أقصر الطرق.

ـ "من جد وجد ومن زرع حصد".

كان معلمنا يهتز طربا من رأسه حتى قدميه وهو يردد هذه العبارة: "من جد وجد ومن زرع حصد".. واليوم أنا لست على ثقة بأن الذي جد هو الذي وجد، ولا الذي زرع هو بالحتمية الذي حصد، فثمة من حصد

دون أن يزرع، وهناك من وجد دون أن يجد.

ـ "من طلب العلا سهر الليالي".

فتشت طوال عمري في جفون الذين بلغوا العلا، فلم أجد لدى جلهم جفنا متقرحا من السهر، فموانئ العلا لا تفتح أبوابها إلا نهارا.

مقلب صحافي

بعض أصدقائنا من الصحافيين اعتادوا أن يصنعوا من الحبة قبة ومن "التي شيرت" جبة.. وتتضخم هذه "القبة" أو تتسع هذه "الجبة" من باب المداعبة حينا والمشاكسة حينا آخر.

وقد أوقعني الزملاء في صحيفة "البلاد" ومجلة "إقرأ" في ورطة احتجت زمنا للتخلص منها، فلقد ذهبت في رحلة إلى "شرم الشيخ" فكتبت مجلة "إقرأ" أنني شوهدت على الشاطئ تحت إحدى "الشماسي" أناقش مع أحد المقاولين مخطط مجمع سكني اعتزم إقامته هناك.. وسافرت بعد ذلك إلى ألمانيا في رحلة عمل، فكتبت صحيفة "البلاد" أنني بصدد استيراد مكائن طباعة حديثة تتفوق على كبريات دور الطباعة.

ولا أخفي عليكم سعادتي وأنا أقرأ الخبرين لأنها لامست قناعتي بالمثل الشعبي الشهير "الصيت ولا الغنى" ، لكن الذي لم احسب حسابه أن الخبرين قد فتحا شهية بعض "البلطجية" على إقامة علاقات خاصة معي، كما ارتفعت درجة حرارة عواطفهم نحوي، وتحولت بقدرة قادر إلى "الشيخ دياب".

ومن العروض التي تلقيتها مؤخرا مشروع لإنشاء مزرعة إنتاج حمير.. أي نعم "إنتاج حمير" !!

وقلت لصاحب العرض:

- وهل يشكو العالم من قلة الحمير؟

أجاب وهو يحك جبهته العريضة بسبابته في حركة مسرحية قائلا:

- يا شيخ محمد إن الطلب على الحمير سوف يزداد بعد أن أظهرت دراسة حديثة في الصين أن ركوب الحمير يزيل التوتر ويقضي على الأمراض النفسية، بل ويخلص العالم من الجنون.

قلت و أنا أبادله الاهتمام:

- ويمكن يا صاحبي المتاجرة في ألبانها أيضا، فهي علاج مجرب للسعال الديكي.

قال:

- هل أنت واثق من جدوى ألبانها؟

قلت:

- بقدر ثقتي في جدوى ركوبها!

وبرم صاحبي طرف شاربه المغسول بلعابه وهو يشير إلى وريقات بيده على أنها دراسة جدوى المشروع، فرفضت النظر إليها وأنا أؤكد له ثقتي فيه وفي الحمير!

ولكم أن تتصوروا مواكب الحمير المحملة بركابها من المجانين ترتاد الشوارع في خيلاء، وقد علقت على رقابها لوحات إثبات الحقوق "من انتاج مزارع الدياب".

ما رأيكم قد يكون صاحبي البلطجي على حق ؟.. من يدري؟!.. ربما!

هذيان كائن ليلي !

أنا كائن ليلي أحزن كثيرا لو أنهكني التعب ونمت مبكرا دون أن أودع آخر النجوم في قواقل الغسق، فالليل بالنسبة لي امرأة جميلة تغطي وجهها الحلو بغلالة شفافة تزيده بهاء وتزيدني فضولا، عكس النهار السافر المتبرج الذي تنهش ذاتك فيه ألف عين.. في الليل تشعر أن كل ما يحيط بك يزداد أناقة، وأن الدنيا قد ارتدت ثياب السهر الجميلة التي تطرزها النجوم، و ذلك القمر الفضي يتدلى على جيدها لؤلؤة تهدهدها مواكب الغيوم!!

كنت في بداياتي أحلم ألا يضطرني خبز الحياة للاصطباح بوجه دفتر الدوام، لكن ذلك الدفتر الكئيب ظل ينشب مخالبه في أناملي ربع قرن من الزمان، تمردت بعد ذلك تاركا له نصف قوتي ونصف النهار، وإن بقي لهاث ركضه في الدروب، استسلم له حينا، وحينا أواصل الهروب.

و هذا أنا أخيرا أسامر الليل دونما حاجة إلى ساعة منبه تقترب منَي كعزول مزعج يذكرك بمراقب الاختبارات وهو يصيح بصوته الأجش باقي من الزمن نصف ساعة.. الآن فقط أستطيع أن أدرك تلك المتعة التي كان يمنحها الليل للشاعر كامل الشناوي حينما يتحول إلى مصباح إذا ما انطفأ النهار.. وكيف جفا (الخيّام) مرقده دون خوف من أن يقصف طول السهر بالأعمار!!

وهذه (سيدة البحار) ابنة السحر، تنثر ضفائرها على سواري الليل

جنيَة تستوي على الحد بين الرمل والماء، فيمسي المدى (شهرزاد) وكل الدروب (حكايا).. فـ(جدَة) مدينة لها نكهة تغري العاشقين على التمسك بأستار ليلها، وهم يرددون: (هوَا العمر إيه غير ليلة)!!

تاكسي الحكمة!

تقاعد أحد أصدقائنا الظرفاء من العمل، بعد سنوات من الضبط والربط، حرم خلالها من "نومة الضحوية" و"سهرة العواطلية"، فقرر أن يستثمر أوقات فراغه - بعد التقاعد - بالعمل كسائق تاكسي، يصحو من نومه متى أراد، ويمارس هوايته في قيادة "التاكسي" متى شاء!

المهم أن يومياته في قيادة التاكسي قد حولته إلى فيلسوف حينا، وإلى إخصائي اجتماعي حينا آخر، بحسب حاجة الزبون.

ومن حكاياته الطريفة قصته مع ذلك الرجل الذي خرج من بيته وهو يهدد ويتوعد، ولعل زوجته القابعة بالبيت كانت المقصودة بكل ذلك التهديد والوعيد..

وبعد أن تأكد الرجل الغاضب من دخول كل أجزائه المبعثرة إلى داخل التاكسي طلب من صديقنا أن يمضي..

فسأله صديقنا:

- إلى أين ؟!

فقذف الرجل في وجهه كلمات آمرة:

- إمض حيث شئت !

كان الرجل لا يزال يلوك غضبه حينما انطلق صديقنا صاحب التاكسي إلى الكورنيش ليتوقف في منطقة تطل على البحر، كان الموج في تلك اللحظة يصطدم بالصخور فيرعد ويزبد ويتعالى، ويقذف العابرين

على الشاطئ بزخات من مياهه الغاضبة.
وأخذت ثورة الرجل في التلاشي أمام غضب البحر، وقد حرص صديقنا صاحب التاكسي أن يدعم مهمته بفيض من الحكايات التي تقال عن علاقة البحر بمدينة جدة ' فحكى للزبون كيف أن جدة لم تكن تطل على البحر، لكن البحر قد استمع إلى همس النوارس ذات يوم تتحدث عن هذه المدينة الأنثى فقرر الرحيل إليها وخطبتها، ومن يومها وجدة والبحر عاشقان، يغضب منها فيأتي إلى هنا ثائرا ينطح الصخر حتى يهدأ غضبه ليعود إلى معشوقته جدة بعد ذلك محملا بهدايا الأصداف والمرجان وقلادة من قرص الشمس الغارقة في أحشائه!
وبعد ساعة أمام البحر قفل الرجل راجعا إلى داره محملا بالبخور والعطور وهدايا المحبين، ولم ينس أن ينفح صديقنا سائق التاكسي أجرة مضاعفة، وبطاقة صغيرة كتب عليها اسمه "د. ...."
وتحت الاسم عبارة " دكتوراه في علم نفس الأسرة"!!
فقلب صديقنا البطاقة بين أصابعه، وهو يتمتم: ربما احتاج إليك ذات يوم، ولربما أحتاجك البحر أيضا !!

يا رجال العالم اتحدوا

في جلٍّ قضايا العنف العائلي اعتدنا أن يكون المتهم فيها رجلا، لكن يبدو أن الحياة يوم لك ويوم عليك، فمحاكم الدنيا تعج اليوم بقضايا عكسية، الضحية فيها هو الرجل ـ الذي كان حتى عهد قريب ـ صاحب الصولة والهيمنة والنفوذ، فالإحصائيات تشير اليوم إلى أن ٢٨٪ من المصريين يعانون من ضرب زوجاتهم لهم، وتصل النسبة في أمريكا إلى ٢٣٪، وفي بريطانيا إلى ١٧٪، وفي الهند ١٢٪، أما في بنغلاديش، فالأمر أسوأ إلى الدرجة التي خرج فيها الرجال في مظاهرة حاشدة يحتمون فيها بسلطة الحكومة من ضرب زوجاتهم لهم.

ومن حسن الحظ أن الدراسة لم تشمل دول الخليج، ربما لأننا رجال تقف على شواربها الطيور وتبني النسور أعشاشها، أو لأننا نؤثر أن نتلقى وجباتنا التأديبية من زوجاتنا بعيدا عن عيون الشامتين لكيلا تصبح فضيحتنا بجلاجل، ولعل حالنا كحال جاري "......." التي اعتدت زوجته عليه بالضرب في الشارع أمام المارة، فتوسط بي لإصلاح العلاقة مشترطا فقط أن يتم تأديبه داخل المنزل وبعيدا عن عيون الجيران، وأذعنت الزوجة على مضض لهذا الشرط الصارم الذي يحرمها من متعة التلذذ الكاملة.

الطريف في تلك الإحصائية أن الرجال الصينيين ـ برغم قصر قاماتهم وضآلة أحجامهم ـ قد أثبتوا أن الرجولة ليست بفتل الشوارب وطول

القامة والهامة، فهم وحدهم دون خلق الله في هذا العالم التي تؤكد الإحصائية أن الذين يعانون منهم من ضرب زوجاتهم لهم، أقل من ١٪، الأمر الذي جعلني أردد "ما رجال إلا رجال الصين".

وقد شكا لي صديق خطب فتاة على سنة الله ورسوله، وبعد إتمام العقد بيوم أو يومين جاءني مهموما ومكتئبا، فلقد اكتشف المسكين أن عروسه "ست الحسن والجمال" تحمل الحزام الأسود في "الكاراتيه" و "الجودو"، وأنها قد كسرت ذات يوم رقبة إحدى المنافسات.. وتأملت رقبة صاحبي "الغلبان" فهي لا تحتاج لأكثر من ضربة متواضعة لتطير من بين أكتافه كتمثال الجليد.. ومع هذا لم أقنع صاحبي بطلاقها، ولكنني نصحته من باب الاحتياط أن يحفظ كل أرقام الطوارئ، وأن لا يبعد بعش الزوجية كثيرا عن أحد المستشفيات المتخصصة في الكسور وتضميد الجراح، داعيا له بالرفاه والسلامة والبنين.

يا رب

يا رب
أدعوك وقد كبلتني الخطايا
وشـــــدت وثاقي ذنوبي
أدعوك
وقد أحـرقـت الآثـام مـراكـبي
ورهنت في سوق الضياع صوابي
أدعوك
بلسان أخرسه الخجل منك
وبقلب أشــقاه البعد عنك
فلقد عصــــــيتك وسترتني
وغـفلت عن ذكرك ورعيتني
فيا إلهي
ما أعظم حلمك حتى على من اســتحق غضبك
وما أجمل صبرك حتى على من استحق عقابك
وهذا أنا يا رب

ـ وقد عظمت ذنوبي ـ
أتوسـل عفوك، فلا تردني خائبا وأنت الغفار
استجدي رحمتك، فلا تكلني لغيرك وأنت الرحمن
واحمني يا الله من شرور أعدائي
ووسوسة الأصدقاء

محمد صادق دياب:

أنا شراع ضل طريقه
في اليابسة فأوشك
على الغرق!!

لقاء أجراه مع الكاتب الزميل سمير
خوجه بكه،
ونشر بصحيفة "الندوة" بتاريخ
٦/١/١٤٠٥هـ

مثل الغيمة المسكونة بالمطر..
والآهة المحملة بهموم الشوق في كل
الدنيا.. والواحة المسكونة بالأنواء..
والإعصار.. والثمار!!
يجئ اديبنا الاستاذ / محمد صادق
دياب يقدم خطوة الحزن تارة .. وخطوة
الفرح تارة أخرى .. وتحتار .. تحاول
أن تصل إلى هوية ركضه .. وتحديه..
وابتسامته.. ولكنك لا تفلح.. فالسفر
إلى داخل فارسنا، هو دخول محكوم
عليه بالحيرة.. والانبهار.. والانتظار..
وحين تهم فإن ابتسامته العريضة
تستبقيك زمنا وتحكم عليك بالحب ..

▪ من أنت .. ما هوية ركضك المتواصل؟

▪▪ انا شراع ضل طريقه فى طآبور المبحرين فأوشك على الغرق في اليابسه .. ركضي متواصل ولكن بوصلتي تتجاذبها الكثير من الاتجاهات .. اذا نظرت أمامي وجدت الكثيرين، وإذا نظرت خلفي وجدت أيضا كثيرين، .. أحس أنني مهزوم إذا نظرت أمامي.. منتصرا إذا مالويت رأسى الى الخلف .. وبين الهزيمة والانتصار وركض السنين أحس أن ماحققته "قبض ريح"

فلا تسلنى عن هوية ركضي .. فأنا من جيل التجربة الذى لا زال يبحث لمركبه عن ميناء ولخطاه عن طريق ..

▪ تفرح وتحزن .. تكسب وتخسر .. سؤالنا هل تمارس التحدى مع زمنك؟

▪▪ يكفيني علاقة بالزمن أنني لا زلت في ارجوحته .. تشرق على الشمس حيناً وتغيب أحياناً .. لا زلت معلقا بين الظلمة والنور.. انهج في قياس الفرح والحزن خطى "مارسيل بروست" الذي تجاهل الزمن

الاجتماعي والزمن العلمي في ملاحظة العواطف واكتفي برصدها في دواخله حيث تفوق دقيقة الحزن لديه ساعه كاملة ولا تساوى ساعة الفرحة سوى دقيقة..

- حزنك المتناثر من أين ينبت ومن اى المنابع يرتوي؟
- عندما صار الحزن قلادة لؤلؤ يتهافت على ارتدائها مهرجو الفرح فقد الحديث عن الحزن عذرية التعبير، وأصبح كمنشفة الحمام "التركي" كل يوم على صدر زبون، و الغريب اننى قد قرأت على هذه الصفحة الكثير من أحزان بعض من لا زلت اعتقد انهم طبول فرح وراقصو زفة.. حياتهم ربيع دائم، فهم لا يضربون خيامهم الا في مواطن العشب والكلأ والمرعى، وأحزانهم التي يتحدثون عنها ليست سوى وشاح ترف في محاولة لاكتساب قدر من الملامح الإنسانية.. فاترك أحزانى يبتلعها الصمت ودعنا نحاول ان نسبح عكس التيار ولو مرة لنتحدث عن الفرح..

■ حلمك يتحول لحظة الى "مركاز عمدة" ومرة أخرى الى "ملتقى لعذابات الدنيا" .. لو اخترت ماذا تفضل؟

■■ **مركاز العمدة يمكن ان يصبح ملتقى لعذابات الدنيا عندما يتجاوز العمدة " الختم " و "الإسطمبة" ويتحول الى شاعر قبيلة، تسكن في صدره آهات الحيارى، وفي عيونه اوجاع السهارى، وعلى لسانه تجرى اغانى الحب والصبر والامل.**

تزدهي كل الاشياء الغالية وتنمو على اكفنا حدثنا عن اشيائك الغالية..؟

ـأشيائي الغالية ثلاثة:

– حب لازلت أرويه واستقى من ظلاله.

– فراشات ثلاث فرضن علي أن أتحول في بيتي إلى مصباح حنان يمكن ان يتهافتن عليه في طمأنينة.

– بعض كتب وحزمة من اوراق الجرائد قد لاتعجب البعض ولكن عليها وشم انفاسي.

■ أى الاشياء تقف على سنة قلمك حين تكتب؟

■■ **على ريشة قلمي يسكن حينا الشعبي القديم بمعاناة رجاله .. بزغاريد نسائه .. بأهازيج اطفاله .. بحكايات**

عجائزه .. وتتسع هذه الريشة أحيانا لتضرب هموم العالم بأكمله خيامها.

▪ معاناتك جزء من الهوى الذي يضمخ العالم كله بالسهد والقلق والوجع .. سؤالنا كيف تتنفس؟

▪▪ **عندما يستعصي الشوق على الانتظار، ويرتدي القلب جناح فراشه، تصبح المسافات وهماً ويصبح السهد والقلق والوجع وقود الرحيل الى موانئ الراحة، عندها يتحول التنفس الى وشم على الورق يأخذ شكل قصة حيناً او مقالة احياناً وفي الحالتين أحس أنني احلق بعيداً عن ارصفة الانتظار.**

▪ ماهوية نبضك الذى يحصد الرضا من كل القلوب ويتلوى بالعذاب من بعضها؟

▪▪ **نحن غرباء في عيون الآخرين، والآخرون غرباء في عيوننا، والرضا والعذاب يمطران على حظوظنا ويتلونان بحسب مناخ الامزجة في غياب الحقيقة الواحدة .. ويحضرني قولاً لمفكر: "لا يوجد عالم واحد .. هناك ملايين من العوالم".**

▪ همومك على أى السواعد تدفنها؟

■■ همومي لن أجد لها مساحة قبر على ساعد .. لن ادفنها فهي هوية شخصيتي وملامح تعبيري .. هي الغرس الذي أطمح أن ينبت الفرح من رحم العتمه في مشاويري القادمة.

■ موال الشوق حين يترعرع على كفيك ماذا يطرح؟

■■ يقول احد الفلاسفة: "ان الاعمال الفنية كالآبار الارتوازية يزداد اندفاع مائها الى اعلى كلما تعمق الالم في حفر أبار القلب" وموال الشوق في داخلي يرتوي من حجم المعاناة لينسكب في كلمات تزيد من احساسي بالغربة، عندما تفشل في نقل عوالمي الى الاخرين .. او كما يقول بيراندللو: "إذا كنت أضع في الكلمات التي اقولها معنى الاشياء وقيمتها كما هي في اعماقي ويعطيها الذي يسمعها ويتقبلها المعنى الذي في نفسه للعالم .. نحن نعتقد اننا متافهمون .. ولكننا لن نتفاهم أبداً".

■ كيف تتعامل مع الكلمة الجميلة .. كيف تعطيها تأشيرة سفر الى دواخلك؟

■■ داخلي كخيمة إعرابي تهب عليها الرياح من كل

الجوانب .. لا توجد على حدودها دائرة جمارك ولا يحتاج زائرها الى تأشيرة دخول .. شعارها نشيد طاغور: "اذا أنت اغلقت بابك دون الزيف والضلال امتنعت عنك الحقيقة"..

ورغم كل الكلمات المسافرة الى داخلى تظل فرصة الاستيطان للكلمة الجميلة وحدها.

▪ ماأحلى الذكريات المحفورة على صدرك؟

▪▪ في حينا القديم شجرة نيم عتيقة .. عدة اجيال والاطفال يغنون تحتها:

((ياشجرة ميلي .. كيف أميل

ميلى على جنبك اليمين))

لكن هذه الشجرة لم تسقط واذا قدر لها ان تميل فميلها من نوع الدلال فقط ..

تحت تلك الشجرة كنت اقضى ساعات من النهار في طفولتي اتأمل دروب حينا الضيقة ..أسرح بنظراتي في "رواشين" بيوته .. اتعلم قراءة المعانى على وجوه أهله.

وإذا ما حل المساء وذرفت عيونه الحزينة قطرات من

الندى على حينا .. كان ينطلق صوت الحب من أسطح المنازل، والجدات يقصصن على مسامع الصغار معاناة جدهم "المرحوم" مع البحر وكيف كان يأتي من السفر محملاً بالبخور والعطور وهدايا المحبين .. لاتزال تلك الصور تشكل أغلى الذكريات حتى في زمن الصخب المعاصر.

"الوالد الذي تتحاك الحارة"

لقاء مع المؤلف

أجراه الأديب والصحافي محمود تراوري، ونشر في صحيفة "الرياضية"

في ٧/٢/١٤١٧هـ الموافق ٢٣ يونيو ١٩٩٦م

يظل دائما للحارة الحجازية في مدن (مكة المكرمة،
جدة، المدينة المنورة) وغيرها ذلك الزمن الدفاق، المجلو
وكأنه مرآة مصقولة تعرض
كل ماهو انساني وحميم.
(محمد صادق دياب) صوت مخدوش بملح البحر..
يأتي من أعماق (الحارة).. تتكدس في ازقته
- الصوت - عنفوان الزومال ولفح ظهيرة
ساخنة فرت من كتاب الحارة.
هكذا اندلق أمامي (محمد دياب) وهو يبث همسه
الصاخب عن الحارة.. وللحظة خلت ان «النقرزان»
يتقافز في حنجرته و«النبوت» يتراقص
في فضاء الغرفة..
و«الجوش» حام.. ضاج ومخنوق بضوضاء المدينة
التي افترست مواقده.
حينما صمت لا إراديا.. كان (دياب) لا اراديا ايضا يندلق
في وله.. يرشق كلامه باهزوجة (ياقيسنا) واغرورقت
عيناه بذكرى ايام كان (ينقرز) فيها للنساء.

ولأنني أعرف أنه علميا يحمل الماجستير في علم النفس.. رحت اتخيله بصورتين متناقضتين: ذلك الماجستيري المتورم تعاليا على طبقته وحارته ونشأته وابن الحارة، ذلك الاصيل المؤتزر بـ(الفوطة) و (الفلينة النص كم) و الشال على كتفه.. تبسمت لهاتين الصورتين وانا اقول له:

(رغم انف درجة الماجستير).. خرجت قصصك تحمل عبق الحارة ونكهتها الشاردة.. اما زلت تركض خلف هذا العبق / تلك النكهة؟

لم استطع أيها العزيز أن أطرد "ولد الحارة" من داخلي حتى و انا اقرأ لكبار مفكرى الدنيا ففي عقلي يعيش"فرويد" و "وأدلر" و "يونج" جنبا الى جنب مع "حميدو الحلواني" و"مرزوق الأخرس" والسيد حسين معلم الصبيان في زقاق المعمار.. ولما كان كبرياء التاريخ أيها العزيز يمنعه من التجول في الازقة و الحواري، فلقد اخترت أن يكون عالمي

القصصي هو تاريخ مالا يتواضع له التاريخ، ومجموعة "١٦ حكاية من الحارة" ومجموعة "ساعة الحائط تدق مرتين" يأتيان ضمن هذا السياق.

مواسم المطر

▪ قصتك "مواسم المطر" رائعة.. غادرت فيها ألق الحارة نحو شيء لامع .. ماهو هذا الشيء؟

▪▪ حسبنا الله عليك.. هل أنا كاتب بـ"اللاوندي" يامحمود؟! وبالمناسبة هناك ناقد قام بقراءة نقدية لهذه القصة لم افهم شيئا مما كتب.. لعله هو الآخر كان يبحث عن ذلك الشيء اللامع ايضا!!

الانفتاح على قضايا الابداع

▪ لماذا تركت التعليم بعد سنوات من الركض في عقول الناشئة؟

▪▪ تركت التعليم بعد نحو ربع قرن قضيتها معلما وموجها ومحاضرا في عدة كليات ومعاهد ومدن مثل ابها والطائف ومكه المكرمة وجدة، أردد كمعلم كتابنا القديم عبارة " من جد وجد ومن زرع حصد"

ولست أدرى هل وجد الذي جد من تلاميذي؟ وهل زرع الذي حصد؟ وإن كنت أتمنى صادقا أن يكون الأمر كذلك.

▪ إذا لماذا كانت محطة تفرغك الصحافة بعد التعليم؟

▪▪ ما هو يا سلمى يا أم الخير.. فأنا لم اجرب غير هذين العملين وفي رحابهما قضيت عمري.

▪ ولكنك قبل سنوات طويلة وصفت الصحافة في احدى مقالاتك بأنها القطة التى تأكل ابناءها؟

▪▪ هذا يصدق على الصحافة في الكثير من اوضاعها.. مع الأخذ بعين الاعتبار فارق التوقيت وفارق المؤسسات.. وبلاش تفتيش في الدفاتر / الصحف القديمة!!

▪ لقبوك بـ"العمدة".. ماذا وراء هذا اللقب؟ وماذا يعنى لك؟

▪▪ كنت المشرف على ملحق "الأربعاء" الثقافي الذي تصدره صحيفة المدينة لبضع سنوات حررت خلالها صفحة اسبوعية بعنوان "مركاز العمدة" كنت أوقعها باسم "العمدة" وقد عرف هذا الاسم فيما بعد واشتهر

بين الزملاء في الوسط الصحافي المشكلة انني كنت "عمدة" بلا "ختم" ولا "مركاز" ولا يعنى لي الآن سوى انه كان دعابة عابرة في زمن عابر.

▪ وما هي أطرف الذكريات التي ارتبطت بـذلك الـمركـاز؟

▪▪ سئلت مرة عن رأيي حول شاعرين من أصدقائي أيهما أغزر شعرا.. فأجبت بدعابة بأن الاثنين "صلع" فثار أحدهما ونظم في هجائي قصيدة من "٥٠ طابقا" لم يبق لي فيها جانبا أتكئ عليه.. وقد نشرت مجلة "اقرأ" في فترة رئاسة الدكتور عبدالله مناع بعض أبيات القصيدة واستحى "المحرر" على دمه من تكلمة أبيات القصيدة لأنها غير قابلة للنشر في كل الأحوال.

▪ اثناء إشرافك الثقافي على ملحق "الاربعاء" الذي تصدره "المدينة" اطلق على توجهه مصطلح "التوفيقية" ترى ماسر تلك التسمية؟

▪▪ في تلك الفترة كان التوتر على أشده بين التوجهات الأدبية التقليدية والتجديدية.. وكانت هناك مغالاة

من قبل البعض في الجانبين تصل الى حد الرغبة في مصادرة الآخر، فآثرنا في "الأربعاء" أن نتعامل مع الامر في مستواه الأدبي، بالانفتاح على قضايا الابداع، بعيدا عن التقسيمات التى نشأت آنذاك في الساحة، فكان "الأربعاء" ينشر لأحمد الشيباني إلى جانب الغذامي.. والسريحي إلى جانب المليباري.. واعتقد ان الكثيرين ممن كانوا يختلفون معنا في الرأي آنذاك هم اليوم اكثر قناعة بوجهة النظر تلك.

مطارات مغلقة

▪ انت مجامل للآخرين؟

▪▪ لست مجاملا ولكنني أحاول النظر للنصف الممتلئ بالفضيلة في أكواب الاخرين.. وبطبيعتى لا أتعقب عيوب الناس.. فأنا لا اخلو من بعض عيوبهم.

▪ من هو كاتبك اليومي المفضل؟

▪▪ للأسف أبدله كل صباح.

▪ لماذا؟

▪▪ لان الكاتب اليومي – في الغالب – كحاطب الليل، ليس دائما كل مايكتبه يستحق القراءة.

▪ كتبت لبضع سنوات كلاما ساخرا تحت عنوان "كلام جرايد" هل يعنى هذا التشكيك في مصداقية ماتنشره الجرايد؟

▪▪ **كلام الجرايد مثل كلام الناس، بل هو كلام الناس ذاته، ويعتمد الامر هنا على الراوي.. والصحافيون منهم المبالغ والواقعي.. ومنهم الصادق و"الفشار" ومصطلح "كلام جرايد" تتغير دلالته بتفوق فريق على اخر.**

▪ كأديب.. هل تبدأ بقراءة المواد الادبية في الصحيفة قبل أي شي آخر؟

▪▪ **للأسف لا.. فليس للقصيدة مثلا في حياتنا المعاصرة أهمية الخطاب السياسي.**

▪ عرضت لك عبر الشاشة الصغيرة بعض الاعمال الدرامية.. ترى كيف وجدت الفارق بعد ان تحولت تلك الاعمال الادبية المكتوبة الى أعمال مرئية مجسدة؟

▪▪ **لقد دبت القطيعة بيني وبين شخوص قصصي، فلقد كنا حبايب حتى شاهدتهم في الشاشة.. إذ كانوا**

في خيالي على نحو يختلف كثيرا من النحو الذي شاهدتهم عليه.

▪ كيف هبطت طائرتك الورقية الاولى الى مطارات الصحافة الادبية.. وكيف كانت حالة الطقس آنذاك؟

▪▪ **كثيرا ما وجدت المطارات مغلقة، وفي حالة طوارئ، ولكن الزمن دار دورته ووضعني ذات يوم في موقع من ينشر أو لا ينشر لبعض الذين كانوا لاتعجبهم اسماءنا فقط.**

▪ وأين هم اولئك الآن؟

▪▪ **احياء اموات يرحمهم الله.**

▪ يقال انك ترمز في أحدى قصصك إلى نجم الكرة السابق سعيد غراب.. ترى ماهي علاقتك بهذا النجم؟

▪▪ **الغراب هو ابن حارتي الشعبية حارة البحر، وهو صديق الطفولة وزميل الكرة.. سجلنا أطفالا في نهاية السبعينات في أشبال الأهلي "الثغر" لكنه لم يلبث أن تركنا إلى الإتحاد.. وحالفه الحظ واصبح النجم الذي لم تشهد ملاعب الكرة السعودية حتى الآن لاعبا يمتلك مهاراته الكروية حتى ماجد عبدالله**

نفسه.. فالغراب حالة استثناء في سياق الزمن الكروي المحلي.

▪ ألا تزال أهلاويا؟

▪▪ من منازلهم و"تلفزيوناتهم"!

▪ لو عرض عليك دور في إدارة الأهلي هل تقبل؟

▪▪ إداريا لا..أما لاعبا فسوف اسأل كم قيمة العقد!

▪ حارة البحر ماذا بقي منها في الذاكرة؟

▪▪ أنا من مواليد هذه الحارة.. ولم اعد أسكنها ولكنها غدت تسكنني بأنسها وناسها روحا وقلباً وعاطفة.. ومادمنا ضيوفا على "الرياضية" علينا ان نقول أنها الحارة التي أمدت الملاعب بمجموعة من أبرز اللاعبين في تاريخ الكرة، فإلى جانب الغراب هناك غازي ناصر وعبد الرزاق بكر وعبد المجيد بكر واحمد مسعود وحسن مجلجل وغيرهم.

قصتي مع محمد عبده

▪ أنت متهم بأنك قد أصبغت على حلقات الفنان محمد عبده جزء من خيالاتك كقاص؟

▪▪ حلقات مشوار الفنان محمد عبده في حد ذاتها

رواية مكتملة العناصر ابتداء من يتمه المبكر مرورا بالتحاقة بدار الأيتام وسكن الرباط الخيري، وانتهاء بمعاناة مشواره الطويل.. كل هذه العناصر تشكل خامة قصصية محرضة على الكتابة ولا تحتاج الى خيال بقدر ماتحتاج الى فنيات الكتابة وهذا مافعلته.

▪ محمد عبده يوصف دائما بالذكاء.. هل وجدته كذلك؟

▪▪ **لا يختلف اثنان حول ذكاء محمد عبده ونضجه الاجتماعي.. وهو يحيط ذاته بقدر كبير من الوعي لما يقول ويفعل، بل ويأمل ان يفعل.. وسر نجاحه لايرجع الى جماليات صوته فحسب ولكن الى ذكائه أيضا.**

▪ لماذا اختارك من دون الآخرين لكتابة تلك المذكرات رغم ان عددا من الكتاب كانوا ينتظرون هذه الفرصة؟

▪▪ **ربما لأنني صديقة، وربما لسبب آخر.. لست أدرى، أسأل محمد عبده.**

▪ صدرت لك أربعة كتب متلاحقة ثم ابتلعك الصمت.. لماذا؟

▪▪ أعترف أن تجربة النشر تجربة صعبة يدركها جميع الكتاب دون استثناء، فدخل الكاتب من الكتاب لايسمح له بتغطية تكاليفه في الغالب، ومع هذا يعزُ على الكاتب أن يري إنتاجه حبيس مكتبه بعد كل مايبذله من جهد.. وبالنسبة لي، فلقد فرغت مؤخرا من كتاب بعنوان "جدة .. التاريخ والحياة الاجتماعية"، وهو بحث موثق بالكثير من المراجع والمخطوطات النادرة التى آمل أن يسهم مع غيره من البحوث في إلقاء مزيد من الضوء على تاريخ هذه المدينة الرائعة.

▪ لماذا جدة؟

▪▪ ليس سرا: أن بيني وبين جدة علاقة عشق تفوق كل علاقات العشق الأخرى، فأنا لا اجرؤ أن أسافر باختياري إلى خارج هذه المدينة لأكثر من شهر إلا مرغما لظروف وظيفية أو دراسية.. فأنا في "الشانزليزية" اشتاق الى شارع "قابل"، وفي "الهايد بارك" أحن الى برحة "نصيف"، هذا أنا وللناس فيما يعشقون مذاهب.

القصة ومواجهة الاخرين

▪ في بيتك أنت المؤثر، أم كتاباتك هي التى تؤثر؟

▪▪ **انا أب لثلاثة بنات.. وفي هذا المجتمع العائلي اضافة الى الزوجة نحن نتفاعل بقدر كبير من التأثير والتأثر.. ولا أتخيل انني المؤثر الوحيد، حتى أصغر بناتي لها تأثيرها ايضا.. نحاول أن نحقق مبدأ احترام رأي الاخر، ولزوجتى الفضل الاكبر في تحقيق الكثير من القيم التربوية داخل الأسرة في ظل بعض انشغالاتي، ومن الصعب قياس اثر الكتابة على الاخرين فهي أمر يصعب اخضاعه لمعيارية معينة.**

▪ بناتك هل يعبأن بكونك كاتبا؟

▪▪ **أحاول دائما أن أضع نفسي في مكانها الطبيعي.. ومهنتي في مكانتها الموضوعية.. فليس بالضرورة اليوم أن نرغم بناتنا باتباع قاعدة "كل فتاة بأبيها معجبة".**

▪ لماذا كففت عن كتابة القصة واكتفيت بالكتابة الصحافية؟

■■ ربما كففت عن نشر القصة ولكن لم أكف عن كتابتها.. فمفهومي للقصة اليوم غير مفهومي لها بالأمس.. فهي تتطلب عملا شاقا وصبرا وجلدا لايتوفر في كل الاحوال.. لذا فأنا اكتفي بنصين او ثلاثة في العام قد لا أنشرها الآن، وهذا يرضيني كثيرا في مواجهة آخرين يطبعون مجموعة او اكثر في العام الواحد.
أما الكتابة الصحافية فهي استمرار لممارسة عمرها أكثر من ربع قرن توزعت بين صحف المدينة وعكاظ و الندوة و البلاد وغيرها.

■ عباقرة الفن والأدب.. ماالذي اغراك بإفراد كتاب عنهم؟

■■ لأن هذه الشريحة من الناس رغم إعجاب الناس بهم تجدهم أكثر خلق الله معاناة مع المرأة والجنون والفقر، ولست أدرى لماذا؟! .. فجلهم تعساء في علاقاتهم بالمرأة أمثال: تولستوي، شوبان، همنجواي، السياب، و بيراندللو.. كذلك علاقتهم بالجنون أمثال: فان جوخ، موباسان، وأبسن.. ومع الفقر أمثال: غوركي، أمل دنقل، وعبد الحميد

الديب .. ذلك هو ماشدني للبحث في محاولة لإيجاد تفسير لتلك المعاناة.

▪ ابن الوز عوام.. هل من بناتك من تحاول ان تسير على خطاك في دروب الصحافة والأدب؟

▪▪ **لدى احساس بتورطهن جميعا وان لم تتضح الملامح بعد، فاكبرهن غنوه في السنة النهائية من الجامعة قد بدأت خطواتها الاولى الصحافية.. والثانية سوسن لاتكف عن كتابة رسائلها الادبية الجميلة لى.. واصغرهن سماح اكبر قارئة صحافة في بيتنا الصغير.**

أشياء صغيرة

▪ أقرب بناتك إلى محمد دياب؟

▪▪ **..أم ترى جئت تشعل البيت نارا!**

▪ منذ "المدينة / الاربعاء" قرأناك عاشقا كبيرا.. اما زالت مساحة العشق داخلك بنفس الحجم؟

▪▪ **إن ذبل الربيع في كراريس الهوى، فخريف القلب لم يأت بعد.**

▪ منظر يثير ذهولك؟

■■ عندما يحاول البحر إغراء الشمس بالغرق يتملكني الذهول فلا أنتبه لذاتي إلا و النهار قد انطفأ.

■ واخر يثير اشمئزازك؟

■■ الابتسامة على طريق دعاية معجون الاسنان.

■ عمل لن تقدم عليه؟

■■ غرس الرياحين في سباخ الاخرين.

■ الكتابة؟

■■ الفعل الجميل الذي ينبت السعادة في دواخلي كلما داهمني الجفاف.

■ الميناء الذي تحن الى القدوم اليه دائما؟

■■ وجه أمي.

■ لماذا يذبل الحب بعد الزواج؟

■■ لان "سي السيد" يعتقد ان البوح العاطفي لزوجته يقلل من كبريائه.

■ بيت شعر يطربك؟

■■ قالت بنات الحي ياسلمى وإن
كان فقيرا معدما قالت وإن

■ امرأة في حياتك؟

■■ إنها جدتي "مريم"، التى ربتني.. وفاخرت بذلك أمام أبي، الذي كان يسخر منها بقوله .."هذا الولد تربية حريم"!.. هذه المرأة الأولى التي يخامرني تجاهها دائما هبوب الحنين.

يتكئ أبو غنوة.. فتغدو أمامك باحة الغرفة.. برحة مكتظة بالصهبة.. وللحظة تتخيل (دياب) كمن يناضل.. كي تبقى الحارة.. حارة.. ينهمر في حديث أسيان عن مباهجها.. رجالاتها.. نخوتها..يا باتها.. وفتواتها.

وحين يختتم (اندلاقة الشجى) لايتردد أن يعلن وبيقين هائل: "الحارة باقية يامحمود"!

انه يقين المحب.

■ أباغته: أليست هذه رومانسية يا أبو غنوة؟

■■ (يصمت.. ويبتسم): أبدا.. أبدا هو جزء من وفائنا.. إننى دائما كنت اردد (ان أبناء جدة تعلموا من قانون المد والجزر على شاطئها كيفية انتظار الفرح)..

دائما يبتسم.. يتغنى بحارته والبحر.. ولذا سيكتب تاريخ هذا البحر. سألته عن جديده في الكتابة فرد

وقد تلونت روحه بزرقة البحر.

كتاب يحكي عن جدة.. تاريخا وبحرا وناسا عما أهمله كل من كتبوا عن جدة.. سأغوص في جدة القاع / الناس وارجو ان يكون كتابا مختلفا.

ونحن نرجو ذلك:

نهضنا.. ونهض مودعا.. غادرنا أنا والمصور وغبار الحارة النادي يبخر ثيابنا.. يملأ انوفنا برائحة الازقة العتيقة المسيجة بالبهاء.

شهادات

« محمد صادق دياب.. هو باختصار شديد فنان يشكل بالحروف لوحة شعبية تكاد تندثر أو تغيب ملامحها عن جيلنا الجديد »

علي خالد الغامدي

« تسحرني كتابات محمد صادق دياب الساخرة، التي لا يمارسها إلا قليلا، لكنه حين يفعل، فهو يذكرك بعتاة الكتاب الساخرين. »

هناء حجازي

« في تصوري أن الدياب عبارة عن عشرة كتاب تم اختصارهم في واحد .. كاتب يستطيع أن يقتحم عقلك وبيتك ومكتبك وفي كل مرة لا تملك إلا أن توجه إليه دعوة جديدة لمزيد من الاقتحام »

عبد المحسن حليت

« تتميز كتابات محمد دياب بالسردية وهي من مميزات كتابة القصة والرواية .. ولو لم يستغرقه التعليم والصحافة لكتب رواية « الحرافيش » السعودية من بين وهج أزقة حارة اليمن وعلى وقع الدفوف في العيدروس »

د. عاصم حمدان



محمد صادق دياب

mohddiyab@yahoo.com

- من مواليد مدينة جدة.
- رأس تحرير مجلتي «إقرأ» و «الجديدة».
- ماجستير علم نفس تربوي «إرشاد نفسي» من جامعة ويسكنسن بالولايات المتحدة.
- دبلوم عالي في الإدارة التربوية من جامعة أوكلاهوما بالولايات المتحدة.
- بكالوريوس تربية وعلم نفس من كلية التربية بمكة المكرمة.

من مؤلفات

- الأمثال العـ
- ١٦ حكاية
- ساعة الحا
  قصصية»
- عباقرة الأ
- جدة .. التاريخ

Bibliotheca Alexandrina
0438135
6